

سلسلة المعارف الإسلامية

٤٩



# التكافل الاجتماعي في مدرسة أهل البيت عليهم السلام

تأليف

عباس زهيبات

تحظى إصدارات المركز

بالمتابعة والتقييم والإشراف العلمي



بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



## كلمة المركز

اللهم لك الحمد والثناء والعظمة والكبرياء ، وصلى الله على نبينا محمد أشرف المرسلين والأنبياء ، وآله آل ياسين المطهرين الأوفياء. أما بعد..

هناك جملة من المبادئ الإنسانية الرفيعة المشتركة بين أهل الأديان وغيرهم ، مدعاة لفخر المتمسك بما سواه كان أمة أو شعباً أو فرداً ، ويأتي في طليعتها مبدأ التكافل الاجتماعي الذي يعني تحسس الإنسان آلام أخيه الإنسان معنوية كانت أو مادية.

وما موقف الإسلام العظيم تجاه هذا المبدأ الشريف إلا موقف المقتنن له ، والمشجع عليه ، واخذر من تركه أو التهاون بشأنه.. وهكذا ضمن بقاءه من خلال التأكيد عليه في تشريعاته القانونية ، حتى جعل له نظاماً خاصاً وهو ما يعرف بنظام الحقوق الشرعية بشقيها الواجبة والمستحبة التي خصّ بها الفئات المحرومة من الناس ولم يفرّق في ذلك بين حرّ أو عبد ، مسلم أو غير مسلم ، رجل أو امرأة.

ومن روعة الإسلام في هذا المبدأ أنّه هدّب نفوس المسلمين تجاهه ، رافعاً شعاره ﴿ وَيُزَيِّرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ ، موصياً كلّ مسلم بقوله : « أحبب لغيرك ما تحب لنفسك وكره له ما تكره لها » ؛ كلّ هذا بهدف أن تكون العلاقات الاجتماعية علاقات متينة مرتبطة برباط وثيق محكم ، يتفرغ معها القائم بمساعدة الآخرين عن كلّ إحساس أو شعور بالفضل عليهم ، تماماً كمن يقوم بأداء واجبه المطلوب ، بحيث يكون العطاء نابعاً عن نفس صافية وروح إيمانية عالية لدرجة لا يكون في ظلّها معبراً عن الفضل والإحسان بقدر ما يعبر عن أداء الواجب ، وبهذا يضمن صدوره عن تصرف مسؤول وواع ، وبطريقة عفوية لا أثر فيها لتكلف أو مئة أو إلزام.

ومّا يقرب من روعة الصورة التي أراها الإسلام أن تكون في هذا المبدأ أنّه عدّ الفقير شريكاً للغني في أمواله بمقدار ماله من حصّة شرعية فيها ؛ لكي لا يكون الدفع المستحقّ إليه خارجاً عن دائرة الاستحقاق بأيّ نحو كان. ما دام عنوان الدفع هو الشركة بين اثنين.

وفي هذا يقول إمامنا الصادق عليه السلام : « إنّ الله أشرك بين الأغنياء والفقراء في الأموال فليس لهم أن يصرفوا إلى غير شركائهم ». كما نجد في مدرسة أهل البيت : بياناً شافياً لعظمة الدور الاجتماعي في مسألة التكافل فيما يمثّله من قيمة عالية في ميزان الشرع الخفيف بحيث يكون بالمستوى الذي يفوق فيه بعض الممارسات العبادية العظيمة عند الله عزّ وجل كالحج !! ممّا يشير هذا إلى عظمة وخطورة الدور الاجتماعي في باب التكافل ، ويوحى بامتداداته الواسعة التي يُتقرب بها إلى الله عزّ وجل كعبادة مثالية عظيمة ، تتميز بدرجاتها الرفيعة على

كثير من العبادات المهمة ، وفي هذا يقول إمامنا باقر العلوم عليه السلام : « لأن أعول أهل بيت من المسلمين أسدّ جوعتهم وأكسو عورتهم ، وأكفّ وجوههم عن الناس ، أحبّ إليّ من أن أحجّ حجّة وحجّة وحجّة ، ومثلها ومثلها حتى بلغ عشرا ، ومثلها حتى بلغ السبعين ». وفي هذا ما يدلّ بوضوح على أن أقصر الطرق إلى الله تعالى هي خدمة عبادته.

ومن جهة أخرى نرى في سنة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته : تجسيدا رائعاً لهذا المبدأ وترغيباً واضحاً للمسلم في أن يعيش العطاء في طاقاته ؛ ليكون وجوده — في مجتمعه — فاعلاً ومفيداً ، بعيداً عن حسابات الريح والخسارة المادية في هذه الحياة ؛ لأنه في واقع الحال سيّتجر مع الله عزّ وجل ؛ فيلقى حينئذ ما قدّمه من خير أمامه ، وما أكسب من تجارة رأس ماله الأعمال الزاكية ، ومثل ربها ﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ ﴾ ، ونتيجتها القرب من الله عزّ وجل ؟!

وهكذا أراد الإسلام العظيم أن يتخذ المسلمون — أفراداً وجماعات — منهجاً جديداً تجاه مسألة التكافل ، يسوده الشعور بأداء الواجب ، لكي تتحرّك علاقاتهم في المجتمع الإسلامي في إطار يفتح فيه مجتمعهم نافذة واسعة للمحرومين من أبنائه ليطلّوا من خلالها على الحياة ويسهموا في بنائها ؛ وعندئذ سينطلق الكلّ في خدمة القوّة الإجتماعية التي تحمي للمجتمع الإسلامي حياته وتساعده على نموه وازدهاره ، وإلاّ فستطيح الروح الأنانية الجشعة بالتوازن الاجتماعي بين شرائح المجتمع حتى ينتهي الأمر إلى ضعفه وتدهوره لفقده عنصر التماسك المطلوب.

وكتاب ( التكافل الاجتماعي في مدرسة أهل البيت : ) عزيزي القارئ ، قد عالج موضوعه من جهات شتى ، مبيناً أسس التكافل ، ومن يحتاج إليه ، ومتطلباته ، وسبل تأمينها وطرق تحصيلها بأسلوب علمي ، وعبارة رشيقة واضحة ، كاشفاً بهذا عمّا في تلك المدرسة المقدّسة المباركة من كنوز التكافل.. آملين أن يحقّق تجاه هذا المبدأ الشريف الوعي الإسلامي المطلوب ، ويدفع بممارسته خطوات واسعة إلى الأمام ؛ لما في ذلك من خير عاجل وآجل.

والله الهادي إلى سواء السبيل

## المُقدِّمةُ

تعتمد الرعاية الاجتماعية في الإسلام على مبدأ التكافل الذي يبيّن من تقع عليه مسؤولية رعاية المحتاج ومن هنا صارت كفالة المحتاج على أفراد أسرته مسؤولية مقررة سواء أكان طفلاً أو أرملة أو مطلقة أو عاجزاً عن الكسب ، فإذا عجزت الأسرة عن هذه الكفالة ، انتقلت المسؤولية إلى المجتمع ، كما يُشير إلى ذلك قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ \* لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾<sup>(١)</sup> ، فهذا الخطاب يوضح بأجلى المعاني مسؤولية القادرين وهم الأغنياء تجاه السائل والمحروم ، إذ لهما في أموالهم حقّ معلوم ، وبتعبير معاصر أنه نظام يعتمد على التشريع والتنفيذ في تحديد هذا الحقّ المعلوم.

والملاحظ أن التكافل الاجتماعي في الإسلام يرتكز على شقين أساسيين :

أولهما : قائم على التراحم ، وهو غالباً ما يتصل برعاية الأسرة لذوي قرباها ، حيث اعتمد الإسلام في ذلك على الصّلة الطبيعية التي تدفع أفراد الأسرة إلى رعاية شؤون الأبناء والاقارب وخصوصاً اليتامى والأرامل منهم ، وهي رعاية أدبية في المقام الأول ، ويمتد تأثيرها إلى المجتمع كله.

---

(١) سورة المعارج : ٧٠ / ٢٤ و ٢٥ .

وثانيهما : وهو التكافل المادي ، وقد أهتم به الإسلام عن طريق تحديد مسؤولية المجتمع نحو المعوزين والمحتاجين ، فأوجب لهم حقاً معلوماً سوف نتطرق لمقداره وطبيعته.

وقد دعا القرآن الكريم إلى هذا التعاون المادي وحثّ عليه ، واستنهض الهمم من أجله ، وأطلق عليه جملة من العناوين المحببة فيه. مثل عناوين « إحسان ، زكاة ، صدقة ، حق ، إنفاق في سبيل الله » ثم طلبه بصفته ركناً من أركان الدين وبصفته فضيلة إنسانية ، وأوجبه للفقير على الغني في أصناف المال كله : نقده ، وزرعه ، وماشيته. ولعلّ أوضح شاهد على ذلك ما شرعه الإسلام في آخر شهر رمضان من كل عام باسم « زكاة الفطرة ».

وفي بحثنا عن التكافل الاجتماعي وفق رؤية مدرسة أهل البيت : اتبعنا « المنهج النقلي » وقسمنا البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول ، يتطرق الفصل الأول : إلى أسس التكافل الاجتماعي. ويعدد الفصل الثاني : من يحتاج إلى التكافل. أما الفصل الثالث : فيتحدث عن الحاجات الأساسية للتكافل ، وسُبل تأمينها ، ومن الله نستمد العون والتوفيق.

\* \* \*



## الفصل الأول :

### أسس التكافل الاجتماعي

#### في مدرسة أهل البيت :

لم تنبت فكرة التكافل بلا جذور ، ولم تنطلق من فراغ ، وإنما سبقتها ومهدت لها وأسهمت في فاعليتها وديمومتها مجموعة من الأسس والمبادئ العامة ، كانت بمثابة البنى التحتية التي عملت على بلورة فكرة التكافل وإرساء قواعدها ، وفي طليعة هذه الأسس والمبادئ :

#### أولاً : مبدأ الأخوة الإيمانية

عمل الإسلام على بناء وتدعيم علاقات طيبة بين الناس تقوم على أساس الأخوة والألفة ، وإذا كان علم الاجتماع معنياً أولاً وقبل كل شيء بالظواهر الاجتماعية ، فإن ظاهرة الأخوة التي أوجدها الإسلام بين أفرادها تستحق الدراسة والتأمل ، فقد كان العرب — في الجاهلية — على شفا حفرة من نار الخلاف والاختلاف والتمزق والتقاتل ، ولكنهم بعد أن ارتضعوا من لسان ثقافة الإسلام أصبحوا أمة متحدة ، مرهوبة الجانب تمتلك أسباب التمدين والرقي.

فقد أحدثت مبادئ الإسلام وخاصة مبدأ الأخوة إنعطافاً اجتماعياً حاداً في أنماط تفكير وسلوك الغالبية من المسلمين ، حيث كان الإنسان الجاهلي قبل الإسلام منكفئاً على ذاته ، ومتقوقعاً داخل أسوار نفسه ، فغدا بفضل الإسلام إنساناً اجتماعياً يشعر بمعانة إخوته ، ويمدّ يده العون لهم ، ويشاركهم في مكاره الدهر .

وهذه النقلة الحضارية يشير إليها القرآن بصورة جليّة ، في قوله عز من قائل : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ <sup>(١)</sup> .

وكان للسنة النبوية الأثر البالغ في تدعيم وترسيخ مبدأ التكافل من خلال تأكيدها على مبدأ الأخوة وما يستلزمه من التزامات إجتماعية كقضاء حوائج الإخوان وإعانتهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « من سعى في حاجة أخيه المؤمنين ، فكأنما عبد الله تسعة آلاف سنة ، صائماً نهاره ، قائماً ليلة » <sup>(٢)</sup> .  
وقال صلى الله عليه وآله : « من قضى لأخيه المؤمن حاجةً ، كان كمن عبد الله دهره » <sup>(٣)</sup> .

وقال صلى الله عليه وآله : « من مشى في عون أخيه ومنفعته ، فله ثواب المجاهدين

(١) سورة آل عمران : ٣ / ١٠٣ .

(٢) من لا يحضره الفقيه / الشيخ الصدوق ٢ : ١٩٠ ، الناشر : جماعة المدرسين ، قم — ط ٢ ١٤٠٤ هـ .

(٣) الأمالي / الشيخ الطوسي : ٤٨١ / المجلس السابع عشر .

في سبيل الله» <sup>(١)</sup>.

فهنا نجد أن قضاء حوائج الأخوان وخاصة تلك التي لا بد منها لاستمرار العيش الكريم يرفعها الرسول ﷺ إلى درجة العبادة العملية التي تستلزم الثواب الأخروي الجزيل.

وكان الرسول الأكرم ﷺ يحثّ على صون كرامة الأخ المؤمن وعدم إراقة ماء وجهه بعدم تكليفه الطلب عند حاجته ، لذلك يدعو إلى المبادرة بقضاء حوائجه بمجرد الشعور بحاجته إلى المساعدة ، وهذه توصية حضارية في غاية الأهمية ، قال ﷺ : « لا يكلف المؤمن أخاه الطلب إليه إذا علم حاجته » <sup>(٢)</sup>.

ونسجت مدرسة أهل البيت : على هذا المنوال بأقوال عديدة تعكس حالة التضامن والتكافل التي ترغب في إشاعتها بين أفراد المجتمع ، فعن الإمام علي عليه السلام قال : « خير الاخوان من لا يجوج إخوانه إلى سواه » <sup>(٣)</sup>.

وقال أيضاً : « خير اخوانك من واصلك » <sup>(٤)</sup>.

ورسم لنا أمير المؤمنين عليه السلام مقياساً للتفاضل الاجتماعي يقوم على المنفعة

(١) ثواب الأعمال / الشيخ الصدوق : ٢٨٨ ، منشورات الرضي — قم ، ط ٢ — ١٣٦٨ هـ.

(٢) الخصال / الشيخ الصدوق : ٦١٤ ، نشر جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم.

(٣) غرر الحكم / الآمدي ١ : ٣٥٠ / ح ٣ ، الفصل (٢٩) ، مؤسسة الأعلمي ، ط ١.

(٤) عيون الحكم والمواعظ / علي بن محمد الليثي الواسطي : ٢٣٨ ، دار الحديث ، ط ١

المتبادلة ، عندما قال : « خير الناس من نفع الناس » <sup>(١)</sup>.

في حين أن حفيده الإمام الصادق عليه السلام يرسم لنا معادلة إلهية ، هي : « إنَّ الله في عون المؤمن ما كان المؤمن في عون أخيه » <sup>(٢)</sup>.

وعنه عليه السلام : أن « من قضى لأخيه المؤمن حاجة ، قضى الله عزّوجل له يوم القيامة مئة ألف حاجة » <sup>(٣)</sup>.

ويقول أيضاً : « من كان في حاجة أخيه المؤمن المسلم كان الله في حاجته ، ما كان في حاجة أخيه » <sup>(٤)</sup> وقال عليه السلام : « قضاء حاجة المؤمن أفضل من ألف حجّة متقبّلة بمناسكها ، وعتق ألف رقبة لوجه الله ، وحمّان ألف فرس في سبيل الله بسرّجها ولجامها » <sup>(٥)</sup>.

نتيجة لكل ذلك ما انفك إمامنا الصادق عليه السلام يوصي بمبدأ الأخوة في مختلف الأحوال والظروف ، عن محمد بن مسلم ، قال : أتاني رجل من أهل الجبل ، فدخلت معه على أبي عبدالله عليه السلام ، فقال له عند الوداع : أوصني. فقال : « أوصيك بتقوى الله وبرّ أخيك المسلم ، وأحب له ما تحبّ لنفسك ، واکره له ما تكره لنفسك ، وإن سألك فاعطه... فوازره وأكرمه ولاطفه ، فإنّه منك وأنت منه » <sup>(٦)</sup>.

(١) عيون الحكم والمواعظ : ٢٣٩.

(٢) ثواب الأعمال : ١٣٥.

(٣) أصول الكافي ٢ : ١٩٣ / ١ باب قضاء حاجة المؤمن من كتاب الإيمان والكفر.

(٤) الأمالي / الشيخ الطوسي : ٩٧ / ١٤٧ المجلس الرابع.

(٥) مشكاة الأنوار / الطبرسي : ١٤٨ ، المطبعة الحيدرية بالنجف ، ط ٢.

(٦) الأمالي / الشيخ الطوسي : ٩٧ / المجلس الرابع.

ويظهر على ضوء ما تقدم من أحاديث أهل البيت : أن التكافل من أروع أنواع عبادة الله ، بل ويضاهي العبادات الأخرى ، ويفوقها ثواباً ، قال الإمام الباقر عليه السلام : « لأن أعول أهل بيت من المسلمين... أسدّ جوعتهم وأكسو عورتهم ، فأكفّ وجوههم عن الناس ، أحبّ إليّ من أن أحجّ حجّة وحبّة [ وحبّة ] ، ومثلها ومثلها حتى بلغ عشراً ، حتى بلغ عشرة ، ومثلها ومثلها حتى بلغ السبعين » <sup>(١)</sup>.

وهناك إشارات عن أئمة أهل البيت : على أن قبول الأعمال العبادية متوقف على قضاء حوائج الإخوان المؤمنين ، وفي هذا الصدد يقول الإمام الصادق عليه السلام : « من مشى في حاجة أخيه المؤمن يطلب بذلك ما عند الله حتى تقضى له ، كتب الله عزّ وجلّ له بذلك أجر حجّة وعمره مبرورتين ، وصوم شهرين من أشهر الحرم واعتكافهما في المسجد الحرام ، ومن مشى فيها بنية ولم تقضى كتب الله له بذلك من حجّة مبرورة » <sup>(٢)</sup>.

وعنه عليه السلام : « إنّ العبد ليمشي في حاجة أخيه المؤمن فيوكّل الله عزّ وجلّ به ملكين : واحداً عن يمينه وآخر عن شماله ، يستغفران له ربّه ويدعوان بقضاء حاجته » <sup>(٣)</sup>.

### ترغيب وترهيب

ومن أجل أن يتأصّل مبدأ التكافل في وجدان وواقع الناس أتبع

(١) الكافي ٢ : ١٩٥ / ١١ باب قضاء حاجة المؤمن من كتاب الإيمان والكفر.

(٢) الكافي ٢ : ١٩٥ / ١٠ من الباب المتقدم.

(٣) الكافي ٢ : ١٩٧ / ٦ باب السعي في حاجة المؤمن من كتاب الإيمان والكفر.

الإسلام منهج « الترغيب والترهيب » لأجل دفع الأفراد نحو الاتحاد والتعاون والتكافل. فمن جهة الترغيب نجد أحاديث أهل البيت : تُسهب في إيراد الشواهد على الثواب الجزيل الذي ينتظر كل من قضى حوائج إخوانه وتبشّره بالأمن يوم الحساب ، فعن الإمام الصادق عليه السلام : « من سعى في حاجة أخيه المسلم طلب وجه الله ، كتب الله له ألف ألف حسنة » <sup>(١)</sup>.

وعن الإمام الصادق عليه السلام : « من قضى لأخيه المؤمن حاجةً ، قضى الله عزّ وجل له يوم القيامة مائة ألف حاجة من ذلك أولها الجنة » <sup>(٢)</sup>.

وعن الإمام الكاظم عليه السلام : « إنّ الله عبّاداً في الأرض يسعون في حوائج الناس ، هم الآمنون يوم القيامة » <sup>(٣)</sup>.

ونجد في الروايات معطيات إيجابية يجد ثمراتها الإنسان المؤمن في الدنيا قبل الآخرة كزيادة الرزق ، فعن أمير المؤمنين عليه السلام : « مواساة الأخ في الله تزيد في الرزق » <sup>(٤)</sup>.

وفي مقابل ذلك نجد التحذير الكثير لكل من يقصر في حق إخوانه ، ولهذا التحذير والإنذار آثار عملية تتمثل في المحافظة على الجدار الاجتماعي من أي تصدّع ، وفي الحدّ من التحولات الاجتماعية التي تخل بقواعد العيش

(١) أصول الكافي ٢ : ١٩٧ / ٦ من الباب المتقدم.

(٢) أصول الكافي ٢ : ١٩٣ / ١ باب قضاء حاجة المؤمن من كتاب الإيمان والكفر.

(٣) أصول الكافي ١ : ١٩٧ / ٢ باب السعي في حاجة المؤمن من كتاب الإيمان والكفر.

(٤) مشكاة الأنوار / الطبرسي : ٢٣٠.

المشرك ، وكشاهد على النمط الأخير — أي التحذير — يقول الإمام الصادق عليه السلام :

« من صار إلى أخيه المؤمن في حاجته فحججه ، لم يزل في لعنة الله إلى أن حضرته الوفاة » <sup>(١)</sup>.

وعن الإمام الصادق عليه السلام : « أيما رجل مسلم أتاه رجل مسلم في حاجة ، وهو يقدر على قضائها فمنعه إيّاها ، عيّره الله يوم القيامة تعبيراً شديداً ، وقال له : أتاك أخوك في حاجة قد جعلت قضاؤها في يدك فمنعته إيّاها زهداً منك في ثوابها ، وعزّي لا أنظر إليك اليوم في حاجة معدّياً كنت أو مغفوراً لك » <sup>(٢)</sup>.

وعن الإمام الكاظم عليه السلام : « من قصد إليه رجل من إخوانه مستجيراً به في بعض أحواله ، فلم يجره بعد أن يقدر عليه ، فقد قطع ولاية الله عزّ وجل » <sup>(٣)</sup>.

وهنا نجد أيضاً في الروايات معطيات سلبية لمن أحل بمبدأ الأخوة وما يتطلبه من تكافل وتعاون ، فعن الإمام الباقر عليه السلام : « من يحل بمعونة أخيه المسلم والقيام له في حاجته ، ابتلي بمعونة من يأثم عليه ولا يؤجر » <sup>(٤)</sup>.

وعن الإمام الصادق عليه السلام : « أيما رجل من شيعتنا أتاه رجل من

(١) الاختصاص / منسوب إلى الشيخ المفيد : ٣١ ، طبع جماعة المدرسين في الحوزة العلمية.

(٢) الأمالي / الشيخ الطوسي : ٩٩ / المجلس الرابع.

(٣) أصول الكافي ٢ : ٣٦٦ / ٤ باب من استعان به أخوه فلم يعنه من كتاب الإيمان والكفر.

(٤) أصول الكافي ٢ : ٣٦٦ / ١ من الباب المتقدم.

إخواننا فاستعان به في حاجة فلم يعنه وهو يقدر ، ابتلاه الله عزّوجل بأن يقضي حوائج عدوّ من أعدائنا يعذّبهُ الله عليه يوم القيامة» <sup>(١)</sup>.

وعنه عليه السلام : « ما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلا خذله الله في الدنيا والآخرة » <sup>(٢)</sup>.

وفي الوقت الذي تحث تعاليم آل البيت : على التكافل المادي ، نجد أنهم يركزون كذلك على التكافل الأدبي مع الفقراء والمساكين ، ومن الشواهد على ذلك ، قول الرسول صلى الله عليه وآله : « من استدلّ مؤمناً أو مؤمنة أو حقّره لفقره وقلة ذات يده ، شهروه الله تعالى يوم القيامة ثم يفضحه » <sup>(٣)</sup> ، وفي هذا الخصوص يقول الإمام الصادق عليه السلام : « من حقّر مؤمناً لقلة ماله حقّره الله ، فلم يزل عند الله محقّوراً حتى يتوب مما صنع » <sup>(٤)</sup>.

ويقول أيضاً : « من حقّر مؤمناً مسكيناً ، لم يزل الله له حاقراً ماقتاً حتى يرجع عن محقّرتة إياه » <sup>(٥)</sup>. وهكذا نجد أن الإسلام يُضفي على توجهاته الاجتماعية صبغة دينية تأخذ شكل الوعد والبشارة أو الوعيد والإنذار.

الأمر الآخر هنا أن آل البيت : يضيفون على هذه التوجهات

(١) ثواب الأعمال : ٢٤٩.

(٢) المحاسن / البرقي ١ : ٩٩ ، دار الكتب الإسلامية.

(٣) مشكاة الأنوار / علي الطبرسي : ٢٢٨.

(٤) المصدر السابق : ١٢٠.

(٥) المصدر السابق : ٥٥٥.



والارشادات والمناشدات صبغة حقوقية لتكون ألزم ، بدليل انه سأل المعلى بن خنيس الإمام الصادق عليه السلام : ما حق المؤمن على المؤمن ؟ قال : « سيع حقوق ، ما منها حقّ إلاّ واجب عليه ، إن خالفه خرج عن ولاية الله ، وترك طاعته... والحقّ الثاني أن تمشي في حاجته ، والحقّ الثالث أن تصله بنفسك ومالك... والحقّ الخامس أن لا تشبع ويجوع ، وتلبس ويعرى ، ولا تروى ويظمأ » <sup>(١)</sup>.

### مثالية عالية

عمل أهل البيت : على صياغة عقد اجتماعي ضمني يرتكز على قاعدة اجتماعية عريضة تقوم على مبدأ الأخوة ، فبدون ترسيخ هذا المبدأ وإشاعته يغدو البناء الاجتماعي واهناً كالبناء على كتيب من الرَّمَل.

من أجل ذلك عمل أهل البيت : بدأب على تهئية الأجواء لترسيخ مبدأ الأخاء لكونه يسهم بصورة ضمنية في مبدأ التكافل ، ونتيجة لذلك أشاعوا بين شيعتهم هذا المبدأ بحيث أصبح المائز أو العلامة التي تُميز شيعتهم عن غيرهم ، فهو — إذن — أحد مقاييس الاختبار التي تميز أختيار الشيعة عن الآخرين ، وفي هذا الخصوص يقول أمير المؤمنين عليه السلام : « اختبروا شيعتي بحصلتين : المحافظة على أوقات الصلاة ، والمواساة لإخوانهم بالمال ، فإن لم تكونا فاعزب ثم اعزب » <sup>(٢)</sup>.

(١) الأمالي / الشيخ الطوسي : ٩٨ المجلس الرابع.

(٢) تصنيف نهج البلاغة / لبيب بيضون : ٢٩٧ ، الطبعة الثانية.

ونفس المقياس يستخدمه الإمام الصادق عليه السلام وينصح شيعته بالتزامه ، قال : « اخترتوا اخوانكم بخصلتين فإن كانتا فيهم وإلا فاعزب ثم اعزب ، محافظة على الصلوات في مواقيتها ، والبرّ بالإخوان في العسر واليسر » <sup>(١)</sup>.

أراد أئمتنا : — بذلك — من شيعتهم أن يرتقوا إلى مستوى إيماني رفيع يقرن العبادة والمحافظة عليها بالمعاملة الحسنة من أجل بناء محيط اجتماعي سليم.

وبذلك يظهر بأن الإيمان الكامل لا يتحقق على نحو مثالي إلا بالتكافل ، وكلما تكاتف الفرد المسلم مع إخوانه وتعاون معهم ، كلما ارتقى إلى مدارج إيمانية عالية.

لقد سبق أئمتنا : علماء الاجتماع في الدعوة إلى تقوية الأواصر الاجتماعية لدى الناس ، وقد ثبت أن ذلك يؤدي إلى ارتقاء الإنسان ، لذلك حثوا شيعتهم على تحقيق أعلى درجة من الاندماج والتعاون ، عن محمد بن عجلان ، قال : كنتُ عند أبي عبدالله عليه السلام ، فدخل رجل فسلم ، فسأله عليه السلام : « كيف من خلّفت من اخوانك ؟ قال : فأحسن الثناء وزكى وأطرى ، فقال له : كيف عيادة أغنيائهم على فقرائهم ؟ فقال : قليلة ، قال عليه السلام : وكيف مشاهدة أغنيائهم لفقرائهم ؟ قال : قليلة ، قال : فكيف صلة أغنيائهم لفقرائهم في ذات أيديهم ؟ فقال : إنك لتذكر أخلاقاً قلّما هي فيمن عندنا ، قال عليه السلام : فكيف

(١) أصول الكافي ٢ : ٦٧٢ / ٧ باب النوادر من كتاب العشرة.

ترزم هؤلاء أنّهم شيعة !؟» (١).

وعن سعيد بن الحسن ، قال أبو جعفر عليه السلام : «أجبيء أحدكم إلى أخيه فيدخل يده في كيسه فيأخذ حاجته فلا يدفعه ؟ فقلت : ما أعرف ذلك فينا ، فقال أبو جعفر عليه السلام : فلا شيء إذن ، قلت : فاهلاك إذن ! قال : إنّ القوم لم يعطوا أحلامهم بعد» (٢).

وبتعبير آخر أنه يقول له بانكم لن ترتقوا إلى المستوى الاجتماعي المطلوب الذي تغيب فيه الأنا (الذات) وتسود فيه الرّوح الجماعية التعاونية ، إلا بإزالة الحواجز السميكة التي تحول دون ذلك كالأنانية والأثرة. بطبيعة الحال أراد الإمام عليه السلام أن يرشدهم إلى الوصول إلى سقف تعاملي أعلى يتناسب مع طموحات أهل العصمة ( سلام الله عليهم ) ، وإلا فإن الوصول إلى مستوى الأئمة في درجة التكافل دونه خطر القتاد.

لقد ترجم أهل البيت : أقوالهم إلى سلوك سويّ ، أصبح قدوة حسنة لمن أراد الاقتداء بهم ، فعلى سبيل المثال لا الحصر ، كان الإمام السجاد عليه السلام ، حريصاً على التكافل مع الآخرين وإن كانوا من أعدائه ، قال الواقدي : كان هشام بن إسماعيل يؤذي علي بن الحسين في إمارته ، فلما عزل أمر به الوليد أن يوقف للناس ، فقال : ما أخاف إلا من علي بن الحسين وقد وقف عند دار مروان وكان علي قد تقدم إلى خاصته ألاّ يعرض له أحد منكم بكلمة ، فلما

(١) أصول الكافي ٢ : ١٧٣ / ١٠ ، باب حق المؤمن على أخيه وأداء حقه من كتاب الإيمان والكفر.

(٢) أصول الكافي ٢ : ١٧٣ / ١٣ ، من الباب المتقدم.

مر ناداه هشام : الله أعلم حيث يجعل رسالته.

وزاد ابن فياض في الرواية في كتابه : « أن زين العابدين أنفذ إليه وقال :  
أنظر إلى ما أعجزك من مال تؤخذ به ، فعندنا ما يسعك ، فطب نفساً منّا  
ومن كل من يطيعنا. فنادى هشام : الله أعلم حيث يجعل رسالته » <sup>(١)</sup>.

إن الأئمة : يتحركون بدائرة واسعة من المبادئ ، يريدون منّا أن  
نقتدي بهم حسب المكنة والاستطاعة ، وإلا فمن منا يسرع إلى قضاء حوائج  
عدوّه ؟!

### ثانياً : قيم التراحم

وهذه القيم تسهم إسهاماً كبيراً في دفع الناس نحو التكافل بعيداً عن  
حسابات الربح والخسارة ، وهي قيم تسير في خط متوازٍ مع مبدأ الإخوة  
وباقى المبادئ والقيم الأخرى التي توقظ في نفوس الناس العاطفة نحو بعضهم  
البعض ، وتحقيق أعلى درجة من المشاركة والتعاون فيما بينهم.

وفي هذا السياق يقول أمير المؤمنين عليه السلام : « من لم يرحم الناس منعه  
الله رحمته » <sup>(٢)</sup>. وعنه عليه السلام أن « رحمة الضعفاء تستزل الرحمة » <sup>(٣)</sup>. وفي  
قول ثالث : « عجبت لمن يرحو رحمة من فوقه ، كيف لا يرحم  
من دونه » <sup>(٤)</sup>.

(١) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٣٠١.

(٢) عيون الحكم المواعظ ، الليثي الواسطي : ٤٢٨.

(٣) عيون الحكم المواعظ : ٢٧٠.

(٤) عيون الحكم المواعظ : ٣٣٠.

وغنيّ عن البيان أن الرّحمة هنا عامة ، ومن أجليّ مصاديقها مدّ يد العون للضعفاء وغير القادرين مادياً كالمساكين ، وبذلك تكون الدعوة إلى التراحم تصب في مجرى التكافل بطبيعة الحال ، ومن مصاديق ذلك قول الإمام الصادق عليه السلام : « إني لأرحم ثلاثة ، وحقّ لهم أن يرحموا : عزيزاً أصابته مذلة ، وغنيّ أصابته حاجة بعد الغنى ، وعالم يستخفّ به أهله والجهلة »<sup>(١)</sup>.

فالإمام هنا يذهب إلى أبعد من التكافل المادي ، كما في حالة الغني الذي أصابته الفاقة ، فيرى ضرورة التكافل المعنوي مع العزيز الذي ألمّت به الذلّة ، والعالم الذي يستخفّ به قرابته أو الجهلة المحيطون به. فهذا الحديث يفتح لنا أفقاً واسعاً حتى لا تضيق عدسة الرؤية لدينا فننظر فقط إلى التكافل في شكله المادي البحت ، بل علينا أن نولي عناية بالجانب المعنوي من التكافل ، ويطلق عليه بعض الباحثين تسمية « التكافل الأدبي » ، فهؤلاء يرون أن مفهوم التكافل الاجتماعي في الإسلام واسع ، لا يقتصر على الجانب المادي ، بل يشمل التكافل الأدبي : وهو أن يشعر الإنسان باحترام الآخرين وحبهم له.

### ثالثاً : التعاون والإحسان

في الإسلام رصيد معرفي ضخم يدعو إلى قيم التعاون والإحسان في أكثر من اتجاه وعلى أكثر من صعيد ، الأمر الذي يرسّي أساس التكافل ويعمّق من مساره ، فالقرآن وهو المصدر المعرفي الأساسي يحثّ في آيات

(١) من لا يحضره الفقيه ٤ : ٣٩٤ / ٥٨٣٧ ، الخصال / الشيخ الصدوق : ٨٧ / ١٨ .

عديدة على التعاون ، يقول في هذا الصدد : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ <sup>(١)</sup> .  
وقال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله : « من مشى في عون أخيه ومنفعته ، فله ثواب  
المجاهدين في سبيل الله » <sup>(٢)</sup> .

تجدر الإشارة إلى أن الإنسان خلق وحده ضعيفاً لا يقدر على شيء إلا إذا توفرت له ظروف التعاون مع غيره ، والقليل إلى القليل كثير ، والضعيف إذا ساند الضعيف قوى ، فالحياة الاجتماعية ما هي إلا تعاون أفراد المجتمع في سبيل توفير الطمأنينة النفسية لأفراده الذين يقعون تحت تأثير الحاجة أو الفرع أو القلق أو الاضطراب أو العجز عن تهيئة الامكانيات التي تعيد الطمأنينة النفسية إليهم ، من هنا تظل الحاجة إلى التعاون ماسة عبر الزمن.

يروى إسحاق بن عمار أنه سمع الإمام الصادق عليه السلام يقول : « يأتي على الناس زمان من سأل الناس عاش ، ومن سكت مات ، قلت : فما أصنع إن أدركت ذلك الزمان ؟ قال : تعينهم بما عندك ، فإن لم تجد فجاهك » <sup>(٣)</sup> .  
فالدعوة إلى التعاون — إذن — لازمة مهما تغير الزمان ، وتعاقت الأجيال ، وتغيرت العادات والتقاليد واحتلفت الظروف.

أما الإحسان فهو قيمة عليا تؤدي إلى تنمية روح التكافل ، وتطلق الفرد من عقال الأنا أو ( الذات ) إلى مدارات إجتماعية رحبة ، وتجعله متضامناً مع إخوته وأبناء جنسه. وحقيقة الإحسان : هي التطوع بأعمال الخير التي لم يلزم

(١) سورة المائدة : ٥ / ٢ .

(٢) ثواب الأعمال / الشيخ الصدوق : ٢٨٨ .

(٣) الكافي ٤ : ٤٦ / ١ ، باب النواذر من كتاب الزكاة.

بها الشارع المقدس.

إن الإنسان المحسن هو الذي يمارس العطاء المالي ، أو يبذل جهوداً إضافية في خدمة الناس ، والقرآن يحثّ على ذلك بقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾<sup>(١)</sup> فنجد العطاء هنا مقروناً بالإحسان ، ونجد دائرة القرابة هي الأقرب من حيث الاستحقاق.

ويقول الإمام علي عليه السلام : « رأس الإيمان الإحسان إلى الناس »<sup>(٢)</sup>.

وينبغي التنويه على أن الحضارة المادية قد جعلت مقابل أيّ إحسان ثمناً مادياً يتلقاه المحسن مقابل إحسانه ، أما الإسلام فلا يرى ذلك سليماً ، لأنّه يدعو إلى إسقاط قيم الإيمان بالله ورجاء ثوابه في اليوم الآخر ، ويؤدي إلى تضييع فكرة الإحوة ، من هنا فقد جعل الإسلام معايير خاصة لتثمين جهود المحسن من خلال الدعوة إلى احترامه في وسط المجتمع ، وتقديره لاحسانه ، وفوق ذلك الثواب الجزيل الذي ينتظره في دار المعاد ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : « نعم زاد المعاد الإحسان إلى العباد »<sup>(٣)</sup>.

وكان آل البيت : يحثون أتباعهم على الإحسان بقدر الاستطاعة انطلاقاً من حرصهم الدائم على توفير الأجواء المعيشية الكريمة بعيداً عن مبدأ الربح والخسارة الذي يشكل حجر الزاوية في الحضارة المادية المعاصرة. ومن الشواهد ذات الدلالة على تنمية أهل البيت : للشعور الاجتماعي

(١) سورة النحل : ١٦ / ٩٠.

(٢) عيون الحكم والمواعظ : ٢٦٤.

(٣) عيون الحكم والمواعظ : ٤٩٤.

تجاه المؤمنين ، ما قاله الإمام الصادق عليه السلام : « لأن أطعم مؤمناً محتاجاً أحبّ إليّ من أن أزوره ، ولأن أزوره أحبّ إليّ من أن أعتق عشر رقاب »<sup>(١)</sup>.

إذن هنالك أولوية وتقدم رتبي لبعض أعمال الإحسان على بعض ، وإن لكلّ عمل خيري ثوابه الخاص به حسب أهميته وبمقدار ما يدخله من نفع أو خدمة على المؤمنين ، والمثير في الأمر هنا أنّ الإمام الصادق عليه السلام ينظر إلى قضية الإحسان من منظار أعمق وأرحب ، فهو يرى أنّ فضل المحتاجين عند الإحسان إليهم يكون أعظم من فضل المحسنين أنفسهم !. تمعّن جيداً في الحوارة التالية :

عن حسين بن نعيم الصحّاف قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : « أتحبّ إخوانك يا حسين ؟ قلت : نعم ، قال : تنفع فقراءهم ؟ قلت : نعم ، قال : أما إنه يحقّ عليك أن تحبّ من يحبّ الله ، أما والله لا تنفع منهم أحدا حتى تحبه . أتدعوهم إلى منزلك ؟ قلت : نعم ، ما أكل إلاّ ومعني منهم الرجلان والثلاثة والأقلّ والأكثر ، فقال أبو عبدالله : أما إنّ فضلهم عليك أعظم من فضلك عليهم ، فقلت : أطعمهم طعامي وأوطئهم رحلي ويكون فضلهم عليّ أعظم ؟! قال : نعم ، إنهم إذا دخلوا منزلك دخلوا بمغفرتك ومغفرة عيالك ، وإذا خرجوا من منزلك خرجوا بذنوبك وذنوب عيالك »<sup>(٢)</sup>.

#### رابعاً : مبدأ المسؤولية العامة

يسعى الإسلام إلى تنمية مبدأ المسؤولية في البيئة الاجتماعية ، فبدون هذا

(١) أصول الكافي ٢ : ٢٠٣ / ١٨ ، باب إطعام المؤمن من كتاب الإيمان والكفر.

(٢) أصول الكافي ٢ : ٢٠١ — ٢٠٢ / ٨ ، باب إطعام المؤمن من كتاب الإيمان والكفر.



المبدأ يغدو كل جهد إصلاحي من قبيل الحرث في البحر ، وعليه نجد الرسول وأهل بيته : يعملون على تأصيل فكرة المسؤولية في محاولتهم الحثيثة لإعادة تشكيل الإنسان السويّ ، فكان رسول الله ﷺ يكرّر مقولة : « ... أنا مسؤول ، وإتكم مسؤولون »<sup>(١)</sup>.

لقد زرع أهل البيت : في وعي الأمة فكرة المسؤولية العامة لكي ترتقي من خلالها إلى مستوى التكافل الاجتماعي المطلوب ، في أكثر من اتجاه وعلى أكثر من صعيد ، ففي الاتجاه السياسي يضطلع الحاكم بأيّ شكل جاء إلى السلطة بمسئولية عالٍ من المسؤولية ، لكونه يتحكم في مصائر البشر ، ومستأمن على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم ، وعلى الصعيد الأسري فالرجل مسؤول عن أهل بيته ، من حيث الرعاية والإعالة ، فالمسؤولية — اذن — شمولية من أعلى السلم الاجتماعي إلى قاعدته.

وكما يقول أمير المؤمنين عليه السلام : « كلّ أمرئ مسؤول عمّا ملكت يمينه وعياله »<sup>(٢)</sup>. ثم يبعد نظرنا إلى سعة وشمول هذه المسؤولية فيقول عليه السلام : « ... اتقوا الله في عباده وبلاده ، فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم »<sup>(٣)</sup>.

(١) أصول الكافي ١ : ٢٩٠ / ٦ ، باب ما نص الله عزّ وجلّ ورسوله على الأئمة : واحداً فواحداً من كتاب الحجّة ، و ٢ : ٦٠٦ / ٩ ، باب فضل حامل القرآن من كتاب فضل القرآن.

(٢) عيون الحكم والمواعظ : ٣٩٦.

(٣) شرح منج البلاغة / ابن أبي الحديد ٩ : ٢٨٨.

وبطبيعة الحال تكون المسؤولية الكبرى أمام الله تعالى الخبير بعباده والمطلع على أعمالهم وسرائرهم.

### خامساً : الإيثار

وهو قيمة أخلاقية عالية تدفع الفرد إلى تفضيل وتقديم مصلحة ومنفعة غيره على نفسه ، وكل من يتصف بهذه الفضيلة تتقد روح التكافل في داخله ، فيسعى إلى تقديم المساعدة والعون أو الخدمة لغيره. ومن خلال الإيثار يكون الفرد مشدوداً برباط الودّ مع العباد يسعى لتلبية حوائجهم ويتصدق عليهم بأحب الأشياء إليه.

وقد حدد الإمام الصادق عليه السلام مواصفات خيار الناس وشرارهم قال :  
 « خياركم سمحاًؤكم ، وشراركم بخلاؤكم ، ومن خالص الإيمان البرّ بالإخوان ، والسعي في حوائجهم ، وإنّ البار بالإخوان ليحبّه الرحمن... ثم قال لجميل بن دراج : يا جميل ، أخبر بهذا غرر أصحابك ، قلت : جعلت فداك من غرر اصحابي ؟ قال : هم البارون بالاخوان في العسر واليسر ، ثم قال : يا جميل ، أما إن صاحب الكثير يهون عليه ذلك ، وقد مدح الله عزّ وجل صاحب القليل ، فقال في كتابه : ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقِ شَحْنَفْسِهِ فَاوْلِكُمْ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> » <sup>(٢)</sup>.

(١) سورة الحشر : ٥٩ / ٩.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٢ : ٦١ ، الكافي ٤ : ٤١ / ١٥ ، باب معرفة الجود والسخاء من كتاب الزكاة.

فالإيثار قيمة أساسية تسهم في تفعيل مبدأ التكافل.

وقد أحدثت تعليمات وقيم الإسلام انقلاباً اجتماعياً هائلاً ، فبعد ان كان الإنسان الجاهلي أنانياً تنصدر مصلحته ومنفعته الأولوية ، يثد بناته خشية الإملاق والفقر ، أخذ يؤثر الآخريين على نفسه ولو كان يعاني من ضيق ذات اليد ، وهي ظاهرة اجتماعية ملفتة للنظر وتستدعي الاعتبار.

جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فشكا إليه الجوع ، فبعث رسول الله ﷺ إلى بيوت أزواجه فقلن : « ما عندنا إلا الماء ، فقال رسول الله ﷺ : من لهذا الرجل الليلة ؟ فقال عليّ بن أبي طالب ؓ : أنا له يا رسول الله ، وأتى فاطمة ؓ فقال لها : ما عندك يا ابنة رسول الله ؟ فقالت : ما عندنا إلا قوت العشيّة لكننا نؤثر ضيفنا ، فقال ؓ : يا ابنة محمد ﷺ نومي الصبية وأطفئي الصباح ، فلما أصبح عليّ ؓ غدا على رسول الله ﷺ فأخبره الخبر فلم يبرح حتى أنزل الله عزّ وجلّ ﴿ وَيُؤْتِرُونَ ... ﴾ « الآية (١).

وقدّمت السيرة المطهّرة القدوة الحسنة في هذا المقام ، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنّه ما شبع ثلاثة أيام متوالية حتى فارق الدنيا ، ولو شاء لشبع ، ولكنه كان يؤثر على نفسه (٢).

وتبدو قيمة الإيثار حليّة في سلوك أئمة أهل البيت : حيث تجدد الروح الفياضة بالعطاء ، فمن المواقف المحفورة في ذاكرة التاريخ والتي تختزن في أعماقها

(١) تفسير نور الثقلين ٥ : ٢٨٦ / ٦٠ ، تفسير الآية (٩) من سورة الحشر.

(٢) تنبيه الخواطر / للأمير ورام ١ : ١٧٢ باب الإيثار.

دلالات كبيرة أن أمير المؤمنين عليه السلام «اشترى ثوباً فأعجبه فتصدق به»<sup>(١)</sup>.  
كل ذلك لأنه كان عليه السلام يؤثر على نفسه ، ويفضّل مصلحة غيره على  
مصالحته.  
وعليه فالإيثار بمثابة حجر آخر في بناء أسس مبدئية تسهم في تفعيل  
مبدأ التكافل.

### سادساً : الخدمة المتبادلة

وهي ضرورة لا مندوحة عنها في اطار العيش المشترك وتسهم إسهاماً  
فعالاً في خلق حالة من التكافل بين أفراد المجتمع الفاضل الذي يطمح إليه  
الإسلام.

من هنا نجد مبدأ الخدمة المتبادلة يحتل موقع الصدارة في توجهات  
الإسلام الاجتماعية ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « أيما مسلم خدم قوماً من  
المسلمين إلا أعطاه الله مثل عددهم خداماً في الجنة »<sup>(٢)</sup>. وعن حفيده  
الإمام الصادق عليه السلام يوضح لجميل وقد سمعه يقول : « المؤمنون خدم بعضهم  
لبعض ، قلت — أي جميل — وكيف يكونون خداماً لبعضهم لبعض ؟ قال : يفيد  
بعضهم بعضاً »<sup>(٣)</sup>.

والفائدة المتبادلة في أوسع معانيها تشمل التكافل بطبيعة الحال.

(١) مناقب آل أبي طالب ١ : ٣٦٦.

(٢) أصول الكافي ٢ : ٢٠٧ / ١ ، باب في خدمة المؤمن من كتاب الإيمان والكفر.

(٣) أصول الكافي ٢ : ١٦٧ / ٩ ، باب أخوة المؤمنين بعضهم لبعض من كتاب الإيمان  
والكفر.

على أن الإمام الصادق عليه السلام يميز بين الخدمة والاستخدام ، فالخدمة حالة حضارية إيجابية تستتبع الفائدة والمنفعة ، بينما الاستخدام يفيد الاستغلال والاستهانة بالطرف المقابل ، فالخدمة مطلوبة ومدبوبة بينما الاستخدام مدموم . قال عليه السلام : « اخدم أخاك ، فإن استخدمك فلا وكرامة » <sup>(١)</sup> .

### سابعاً : السيادة والسماحة

وهما قيمتان أساسيتان تثنان على التكافل بصورة علنية أو ضمنية . ورسولنا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قد حدد لنا المقياس السليم الذي رسمه الإسلام للسيادة بقوله : « سيّد القوم خادمهم » <sup>(٢)</sup> ، فالخدمة كما أسلفنا تحمل في أحشائها دعوة ضمنية إلى التكافل ، أما الدعوة العلنية إلى التكافل فتظهر واضحة في مفهوم أمير المؤمنين عليه السلام للسيادة الذي يتضمن أبعاداً اجتماعية تكافلية ، قال عليه السلام : « السيّد من تحمّل المؤونة وجاد بالمعونة » <sup>(٣)</sup> . وعنه عليه السلام : « السيّد من تحمّل أثقال إخوانه » <sup>(٤)</sup> . فأمر المؤمنين عليه السلام ينفي السيادة الاجتماعية — وليس السيادة النسبية لمن أتسب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الأطهار — عن الأفراد الذين يتمحورون حول ذواتهم ومنافعها ، ولا يشاركون غيرهم في النوائب والمصائب ، ولا ينظرون بعين العطف إلى المساكين والمحتاجين ، فهؤلاء لا يستحقون وسام السيادة وإن ادّعوا ، قال عليه السلام : « ما ساد من احتاج إخوانه

(١) الاختصاص ، / الشيخ المفيد : ٢٤٣ ، جماعة المدرسين في الحوزة العلمية ، قم .

(٢) مكارم الأخلاق / الطبرسي : ٢٥١ ، منشورات الشريف الرضي ، ط ٦ / ١٣٩٢ هـ .

(٣) عيون الحكم والمواعظ : ٤٨ .

(٤) عيون الحكم والمواعظ : ٦٠ .

إلى غيره»<sup>(١)</sup>.

فالسيادة تتطلب درجة عالية من المشاركة الاجتماعية ، وتنشق من شعور تكافلي عميق نحو الآخرين.

أما السماح فحسب تفسير أهل البيت : هي البذل وهو — كما معروف — طريق للتكافل. بدليل أن الإمام الحسن عليه السلام لما سأله أمير المؤمنين عليه السلام عن تفسير السماح : « يا بني ما السماح ؟ قال : البذل في العسر واليسر »<sup>(٢)</sup>.  
وفي خير آخر : « إجابة السائل وبذل النائل »<sup>(٣)</sup>.

### ثامناً : الجود والإنفاق

أراد الإسلام أن يتحسس المسلم مشاكل الناس ، وخاصة أولئك الذين تضيق في وجوههم سُبُل العيش المشروع ، لذلك مجَّد الجود وشجع على البذل والإنفاق كأسلوب تكافلي لا بد منه. وكان أهل البيت : يتسلَّقون ذُرَى المجد في الجود ، يقول أمير المؤمنين عليه السلام : « إني لأرفع نفسي أن تكون حاجة لا يسعها جودي »<sup>(٤)</sup>.

فالجود — إذن — يقود إلى البذل بالموجود ، وأفضله في مقاييس مدرسة أهل البيت : ما كان عن عسرة ، لكي يُخرج المسلم من شرنقة الشح والبخل إلى فضاء العطاء والبذل ، وفي هذا الصدد يقول أمير المؤمنين عليه السلام :

(١) عيون الحكم والمواعظ : ٤٨٢.

(٢) مشكاة الأنوار / علي الطبرسي : ٤٠٧.

(٣) معاني الأخبار / الشيخ الصدوق : ٤٠١ ، انتشارات إسلامي ، طبعة ١٣٦١ ش.

(٤) عيون الحكم والمواعظ : ١٦٩.

« أفضل الجود بذل الموجود » <sup>(١)</sup> وعنه عليه السلام : « أفضل الجود ما كان عن عسرة » <sup>(٢)</sup>.

إضافة لما تقدّم ينبغي أن يكون البذل للمستحق وإلاّ كان عبثاً لا طائل منه ، أو كان لأجل السمعة الفارغة ومن أجل التباهي والرياء ليس إلاّ ، وفي هذه الحالة يفقد غايته الأساسية كأسلوب تكافلي.

على أن الأكثر إثارة في هذا الصدد أن مدرسة أهل البيت : تضع شرطاً ثالثاً لتحقيق مفهوم الجود ، وهو أن لآخذ من الشكر أكثر مما للبذل ، لكونه قبل العطاء ، وهي تريد بذلك صون ماء وجه الأول ، وطرد شبح المنّ أو الغرور من نفس الثاني أو المعطي. وهذا الشرط فيه دلالة عميقة تعكس عمق توجهات هذه المدرسة المقدسة ، وسموّ مفاهيمها وسعة أفقها ، وفي هذا الجانب قال الإمام الصادق عليه السلام : « لا يكون الجواد جواداً إلاّ بثلاثة : يكون سخياً بماله على حال اليسر والعسر ، وأن يبذله للمستحقّ ، ويرى أن الذي أخذه من شكر الذي أسدى إليه أكثر مما أعطاه » <sup>(٣)</sup>.

وعموماً فالإنفاق أو العطاء هو من أعظم ما يعتني بأمره الإسلام ، وقد توسل إليه بطرق مختلفة كالزكاة والخمس والكفارات المالية وأقسام الفدية ، وعن طريق الوقف والوصايا والهبة وما إلى ذلك. وإنما يريد بذلك من المسلمين أن يواسوا إخوانهم وأن لا يدفنوا رؤوسهم في رمال اللامبالاة

(١) عيون الحكم والمواعظ : ١١٩.

(٢) عيون الحكم والمواعظ : ١١١.

(٣) تحف العقول / ابن شعبة الحراني : ٣١٨ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، ط ٢ / ١٤٠٤ هـ.

بالآخرين. والقرآن في عشرات الآيات يحثّ على الإنفاق ويمتدح الذين يمارسونه في السرّ والعلن ، وبنوّه بمعطياته الاجتماعية. ومن هذه الآيات قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ <sup>(١)</sup>.

والقرآن يمتدح الإنفاق المؤدي إلى النفع ويدمه إذا أدى إلى المنّ أو الضّرر ، لأنه لا يؤدي غايته التكافلية المطلوبة ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَذَكَّرُونَ أَمْوَالَهُمْ مِمَّا أَنْفَقُوا مَنَّا وَلَا أَدَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup>.

والإنفاق الخالص لوجه الله تعالى محمود في جميع الأوقات والحالات ، فهو يمتد كخيوط متين لربط أفراد المجتمع فيما بينهم ويستأصل شأفة الفقر كأكبر آفة اجتماعية ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup>.

ويرى العلامة الطباطبائي ؛ بأنّ استيفاء الأزمنة والأحوال في الإنفاق للدلالة على اهتمام هؤلاء المنفقين في استيفاء الثواب ، وإمعانهم في ابتغاء مرضاة الله ، وإرادة وجهه ، فوعدهم الله تعالى وعدا حسناً بلسان الرأفة

(١) سورة البقرة : ٢ / ٢٦٧.

(٢) سورة البقرة : ٢ / ٢٦٢.

(٣) سورة البقرة : ٢ / ٢٧٤.



والتلطف<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عباس : نزلت هذه الآية في علي بن أبي طالب عليه السلام ؛ كانت معه أربعة دراهم ، فتصدق بواحد ليلاً وبواحد نهاراً وبواحد سراً وبواحد علانية ، قال الطبرسي : وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام <sup>(٢)</sup>.

وكان المؤمنون لما نزلت آيات الإنفاق على إطلاقها ينفقون كل ما يقع تحت أيديهم بحيث وصل البعض منهم إلى حالة من العسر بعد يساره بفضل روح التكافل التي راحت تتقد في داخلهم ، إذ كان نطاق الإنفاق على أوسع مدى ، فأخذ البعض منهم يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن مقدار الإنفاق وحدوده. فكان الجواب القرآني هو التالي : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ... ﴾ <sup>(٣)</sup>. والعفو ما زاد عن الحاجة ، فالإسلام دين يسر وسماحة لا يكلف الإنسان فوق طاقته وقدرته.

من جانب آخر سعى الإسلام إلى إزالة الحواجز النفسية التي تحول دون الإنطلاق في مسيرة الإنفاق ، وحاول طمأننة الخواطر التي تخشى من حالة الفقر إذا ما أقدمت على البذل والعطاء ، قال تعالى مُطْمَئِنًّا الْمُؤْمِنِينَ : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ <sup>(٤)</sup>.

هذا الوعد بالتعويض بالدنيا ، أما في الآخرة فيظهر من قوله تعالى : ﴿ ...

(١) انظر : تفسير الميزان ٢ : ٤٠٠ ، تفسير الآية (٢٧٤) من سورة البقرة.

(٢) انظر : مجمع البيان / الطبرسي ٢ : ٢٠٤ ، تفسير الآية (٢٧٤) من سورة البقرة.

(٣) سورة البقرة : ٢ / ٢١٩.

(٤) سورة سبا : ٣٤ / ٣٩.

وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفِّئُ الْيَكْمَ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿١﴾ .

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الصدد : « من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة أي ما ينفقه المرء من ماله في سبيل الخير وان كان يسيراً ، فان الله يجعل الجزاء عليه عظيماً كثيراً » <sup>(١)</sup> .

ودعا المؤمنين إلى التوقي من حالة الشح في نفوسهم ، وهي حاجز نفسي يحول دون إقدامهم على البذل والعطاء ، قال عزّ من قائل : ﴿ ... وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

ويتبع القرآن أسلوب الترغيب واعداءً بالثواب الجزيل الذي ينتظر المنفقين ، قال تعالى : ﴿ ... وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ <sup>(٣)</sup> .

أراد القرآن من المسلمين أن يرتقوا إلى مستوى أسمى من العطاء بحيث ينفقون ممّا يُحبُّون ، ولا يقتصر الإنفاق على الأشياء الزائدة عن الحاجة وغير المرغوبة أو الرديئة الجودة ، أو تلك التي لا تميل النفس إلى الاحتفاظ بها قال تعالى : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ

(١) سورة البقرة : ٢ / ٢٧٢ .

(٢) تصنيف نهج البلاغة / بيضون : ٧٣١ .

(٣) سورة التغابن : ٦٤ / ١٦ .

(٤) سورة الحديد : ٥٧ / ٧ .

عَلِيمٌ ﴿١﴾

وكان الرسول الأكرم ﷺ يزرع في وعي المسلمين مفهوم السخاء السليم البعيد عن الرياء والبذخ والإسراف ، والمرتكز على طاعة الله وفي سبيله ، قال ﷺ : « ولا يسمى سخياً إلا الباذل في طاعة الله ولوجهه ، ولو كان برغيف أو شربة ماء » (٢). وكان مفهوم السخاء في الجاهلية يرتكز على الأنانية والإسراف وتتحكم فيه الأهواء والمصالح الذاتية ، فصحح النبي ﷺ هذا المفهوم بحيث يقوم على طاعة الله ويحقق الهدف التكافلي المطلوب منه كإطعام الطعام للجياع أو سقي الماء للعطاشي ، قال النبي ﷺ : « من أدى ما افترض الله عليه فهو أسخى الناس » (٣).

وهناك أحاديث عديدة عن أهل بيت العصمة : تحث على الإنفاق ولو كان قليلاً ، وتحذر من البخل وما يتركه من آثار تدميرية على بنية المجتمع وعواقب أخروية تطال الفرد ، منها إثارة سخط الله. قال أمير المؤمنين عليه السلام : « لا تستح من إعطاء القليل فإن الحرمان أقل منه » (٤).

وعن العواقب غير المحمودة لمن بخل بالنفقة يحدثنا الإمام الباقر عليه السلام بقوله : « ما من عبد يبخل بنفقة ينفقها فيما يُرضي الله إلا ابتلى بأن ينفق

(١) سورة آل عمران : ٣ / ٩٢.

(٢) مصباح الشريعة / المنسوب للإمام الصادق عليه السلام : ٨٣ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ط ١ - ١٤٠٠ هـ.

(٣) مكارم الأخلاق / الشيخ الطبرسي : ١٣٦ ، منشورات الشريف الرضي ، ط ٦ — ١٣٩٢ هـ.

(٤) نهج البلاغة ، الحكمة ٦٧.

أضعافها فيما أسخط الله» <sup>(١)</sup>.

نستخلص مما تقدم أن في مدرسة أهل البيت : أسساً للتكافل الاجتماعي تقوم على هرم من المبادئ والقيم الحضارية التي تدفع الإنسان لكي يواسي إخوانه ويمدّ يد العون لهم. وهذه القيم بمثابة النجم الذي يهتدون به ويسيروا وراءه خيوط الضوء المنبعثة عنه.

(١) تحف العقول : ٢٩٣.

## الفصل الثاني :

### من يحتاج إلى التكافل ؟

يسعى الإسلام إلى توسيع دائرة التكافل لكي تشمل أوسع قطاع من الفئات الاجتماعية التي تحتاج إلى الرعاية والدعم ، وهو يتحرك في دائرة اجتماعية تبدأ بالأقرب ثم الأقرب من الفئات الاجتماعية المراد تكفلها وسدّ عوزها.

فقد ورد عن الإمام الحسين عليه السلام أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « ابدأ بمن تعول : أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك » <sup>(١)</sup> ويمكننا تقسيم الفئات التي تحتاج إلى التكافل ، إلى قسمين :

أولاً — الأقربون بالنسب أو الجوار ، وهم :

#### ١ — الأهل والعيال

وهم من أقرب المقربين للإنسان وأكثرهم حقاً عليه ، ويحتلون موضع الصدارة في توجهات الإسلام الاجتماعية ؛ بحيث نجد الإسلام يدعو إلى بناء

---

(١) الاختصاص : ٢١٩ .

وتدعيم علاقات طيبة وحميمة بين الأهل والعيال قائمة على أساس التعاطف والتكاتف. وفي هذا الصدد يعتبر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أن « الكاذ على عياله كالجاهد في سبيل الله »<sup>(١)</sup>.

وغني عن البيان أن العيال يتكونون — عادةً — من الزوجة والأطفال القصر الذين لا يستطيعون تحمل أعباء المعيشة لضعفهم أو لصغر سنهم ، لذلك أوجب الإسلام على الزوج إعالة زوجته وأطفاله ، وحذّر أشد التحذير من التفريط في ذلك أو التقصير فيه ، قال الرسول صلى الله عليه وآله محذراً : « ملعون ملعون من ضيع من يعول »<sup>(٢)</sup>. وقال صلى الله عليه وآله : « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول »<sup>(٣)</sup>.

فأهل البيت أو العيال هم حجر الزاوية في توجهات الإسلام الاجتماعية ، والتقصير في كفالتهم يجر إلى الإثم والخطيئة ، وبالمقابل يؤدي البر بهم وكفالتهم إلى معطيات إيجابية تنعكس على الكفيل ، وأهمها رضا الله تعالى ورحمته ، التي تكون سبباً لتزول بركاته ، قال الإمام الصادق عليه السلام : « من حسن برّه بأهل بيته زيد في رزقه »<sup>(٤)</sup> ، وعنه عليه السلام في حديث آخر ، قال : « من حسن برّه بأهله زاد الله في عمره »<sup>(٥)</sup>.

(١) عدة الداعي / ابن فهد الحلبي : ٧٢ ، مكتبة الوجداني ، قم.

(٢) عوالي اللآلي / ابن أبي جمهور الأحسائي ٣ : ١٩٣ ، مطبعة سيد الشهداء — قم ، ط ١٤٠٣ هـ.

(٣) عدة الداعي / ابن فهد الحلبي : ٧٢.

(٤) الدعوات / قطب الدين الراوندي : ١٢٧ ، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام ، ط ١ — ١٤٠٧ هـ.

(٥) الخصال : ٨٨ / ٢١.

فالإسلام يريد من الإنسان أن ينظر بعين العطف إلى عياله وأهل بيته وأن يسد حاجاتهم الأساسية من الغذاء والكساء وما إلى ذلك ، وأن يعكف على خدمتهم. وكلما سما في هذه الخدمة كلما اختصر المسافة في مسيرة التسامي إلى الله تعالى. من هنا قال الرسول الأكرم ﷺ : « لا يخدم العيال إلاّ صديق أو شهيد أو رجل يريد الله به خير الدنيا والآخرة »<sup>(١)</sup>.

ولأهمية كفالة الإنسان لعياله وأهل بيته استتبع التقصير في أمر إعالتهم المسؤولية الجزائية ، فالحاكم الشرعي يلزم كلّ من أحلّ بواجب الإعالة أن يتقيد بالضوابط الشرعية والقانونية ، وإلا فعليه تحمّل المسؤولية وما تستلزمه من جزاء مناسب. فقد ألزم الإسلام رب الأسرة بالإنفاق على هؤلاء الضعفاء حتى إذا كان فقيراً ، فهو مسؤول عن السعي لتوفير هذه النفقة للأسرة.

وفي ذلك يقول ﷺ : « حقّ المرأة على زوجها : أن يسدّ جوعها ، وأن يستر عورتها ، ولا يقبّح لها وجهها »<sup>(٢)</sup> فالحديث أعلاه لا يقصر حق الزوجة على الأمور المادية الضرورية من طعام وكساء ، بل يُقرن ذلك بحق معنوي ، هو أن لا يقبّح لها وجهها ، بتعبير آخر أن يحسن معاشرتها ، لا سيما وأنها زميلته في الحياة ، وشريكته في البيت. والإمام زين العابدين عليه السلام يؤكد على حق المرأة في التكافل المادي والمعنوي معاً بالقول : « ... فإن لها عليك أن ترجمها ، لأنّها أسيرتك ، وتطعمها وتسقيها وتكسوها ، وإذا جهلت

(١) جامع الأخبار / السيزوري : ٢٧٦ — مؤسسة آل البيت : — ١٤١٤ هـ.

(٢) عدة الداعي / ابن فهد الحلبي : ٨١.

عفوت عنها»<sup>(١)</sup>.

وتظهر أهميه التشريع الإسلامي للنفقة في الرعاية الاجتماعية في الظروف التي تطلعي فيها الأحقاد على عاطفة الرفق والشفقة. أي في الظروف التي تضطرب فيها الطمأنينة النفسية بدخول عوامل الهدم إلى كيان الأسرة كحالات الشقاق والتزاع. فهو يدعم الطمأنينة النفسية إذا تخلّف أحد أفراد الأسرة عما أمر الله به أن يوصل من الرّحم والتعاطف بين أفراد الأسرة. وعليه فمن الناحية الفقهية: «يجب على المكلف التكسب لتحصيل نفقة من تجب نفقته عليه كالزوجة والأولاد إذا لم يكن واجدا لها، ويستحب ذلك للأموال المستحبة، كالتوسع على العيال، وإعانة الفقراء»<sup>(٢)</sup>.

## ٢ — الأرحام

في مدرسة أهل البيت: — التي هي مدرسة الإسلام الصافية — عناية فائقة بالأرحام، وهناك عشرات بل مئات الروايات التي تدعو إلى صلة الرّحم، وهي تنطلق بذلك من حرصها الدائم على عدم قطع عروق العلائق بين القرابة، الذين يشكّلون الدائرة الأقرب للفرد المسلم، عن الإمام الصادق عليه السلام: في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾<sup>(٣)</sup>، قال: «هي أرحام الناس، إنّ الله عزّ وجلّ أمر بصلتها وعظّمها، ألا ترى

(١) مكارم الأخلاق / الطبرسي: ٤٢١.

(٢) المسائل المنتخبة / السيد السيستاني: ٢٥٥، المسألة (٦٢٢)، ط ٣ — مطبعة مهر، قم.

(٣) سورة النساء: ٤ / ١.



أَنَّهُ جَعَلَهَا مِنْهُ ؟» <sup>(١)</sup>.

وكان الرسول الأكرم ﷺ يوقظ خير ما في أفراد أمته من أحاسيس تجاه أرحامهم ، ويكثر من توصيته لهم بصلة الأرحام ولو بعدت الشقة وطالت المسافة ، ويعتبر ذلك من جوهر الدين ، لكون الإسلام دين إجتماعي تشكّل التعاليم الاجتماعية وخاصة التكافلية منها أكثر من نصف تعليماته. فعنه ﷺ : « أوصي الشاهد من أمتي والغائب منهم ، ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء إلى يوم القيامة ، أن يصل الرّحم ، وإن كان على مسير سنة ، فإن ذلك من الدين » <sup>(٢)</sup>. وكان ﷺ يحذّر أشد التحذير من التقصير في حقهم ، ويؤكد على ضرورة تحمل الضرر الصادر عنهم ، عن الإمام الصادق عليه السلام : « إنّ رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، إنّ لي أهلاً قد كنت أصلهم وهم يؤذونني ، وقد أردت رفضهم ، فقال له رسول الله ﷺ ، إذن يرفضكم الله جميعاً. قال : وكيف أصنع ؟ قال : تعطي من حرمك ، وتصل من قطعك وتعفو عمّن ظلمك ، فإذا فعلت ذلك ، كان الله عزّ وجلّ لك عليهم ظهيراً » <sup>(٣)</sup>.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : « ألا لا يعدلنّ أحدكم عن القرابة يرى بها خصاصة أن يسدها بالذي لا يزيدُه إن أمسكهُ ، ولا ينقصُهُ إن

(١) عدة الداعي / ابن فهد الحلبي : ٨١.

(٢) مشكاة الأنوار / علي الطبرسي : ٢٨٧.

(٣) كتاب الزهد / الحسين بن سعيد الكوفي : ٣٦ ، المطبعة العلمية ، قم ١٣٩٩ هـ.

أهلكه» <sup>(١)</sup>.

كانت تعاليم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأهل بيته : هذه قد أُنعت ثمارها من خلال تمتين عوامل اللحمة بين المسلمين ، فأخذت تصنع في النفوس الطيبة صنيع الغيث في التربة الكريمة.

وكان المسلمون يصلون أرحامهم استجابة للرسول صلى الله عليه وآله وطلباً للشواب العاجل بعدما تناهى إلى أسماعهم قوله صلى الله عليه وآله : « إنَّ أعجل الخير ثواباً صلة الرَّحْمِ » <sup>(٢)</sup>.

كما كان للمعطيات الإيجابية المتعلقة بصلة الرَّحْمِ أثر هام في تشويق وتشجيع آحاد المسلمين على صلة أرحامهم والتكافل معهم ، ومن أبرز هذه المعطيات طول العمر وزيادة الرزق ، يتضح ذلك من مجموعة من الأحاديث منها قول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله : « صلة الرَّحْمِ تزيد في العمر » <sup>(٣)</sup>.

وعنه صلى الله عليه وآله : « إنَّ القوم ليكونون فجرة ، ولا يكونون بررة فيصلون أرحامهم فتنمى أموالهم ، وتطول أعمارهم ، فكيف إذا كانوا أبراراً بررة ؟ » <sup>(٤)</sup>.

ويظهر من هذا الخبر أن صلة الرحم لها آثارها الدنيوية الحسنة حتى على الفجرة فضلاً عن الصالحين ، فتحصل تنمية الأموال ؛ لأنَّ الله تعالى يجعل

(١) تصنيف نهج البلاغة / لبيب بيضون : ٦٦٤.

(٢) أصول الكافي ٢ : ١٥٢ / ١٥ ، باب صلة الرحم من كتاب الإيمان والكفر.

(٣) معاني الأخبار / الشيخ الصدوق ، ٢٦٤ ، انتشارات إسلامي ، ط ١٣٦١ هـ.

(٤) أصول الكافي ٢ : ١٥٥ / ٢١ من الباب المتقدّم.

فيها البركة ، فضلاً عن أنّ روح التعاون والتكاتف التي تنمو في نفوسهم تدفعهم للقيام بمشاريع ونشاطات اقتصادية نافعة تدرّ عليهم بالخير الوفير. أما طول الأعمار فلأنّ الله تعالى ينسأ في أجل الذين يصلون أرحامهم ويمددهم بعمر مديد ، يقول الإمام الحسين عليه السلام : « من سرّه أن ينسأ في أجله ، ويزداد في أجله فليصل رحمه » <sup>(١)</sup>.

وجاء عن الإمام الهادي عليه السلام أنه قال : « فيما كلّم الله تعالى به موسى عليه السلام ، قال موسى : إلهي ، فما جزاء من وصل رحمه ؟ قال : يا موسى أنسأ له أجله ، وأهوّن عليه سكرات الموت » <sup>(٢)</sup>.

ومن الناحية العمليّة فإنّ الحالة النفسية السويّة التي يخلقهها التعاطف والتكاتف فيما بين ذوي الرحم ، تجعلهم يتعدون عن المشاحنات والمشاجرات والجرائم ، فتطول أعمارهم حتى تبلغ آجالها المقدّرة.

وهناك معطيات حسنة أخرى لمن وصل رحمه ، هي أن يعصمه الله تعالى من الذنوب ويهوّن عليه الحساب ، فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال : « إنّ صلة الرّحم والبرّ ليهوّنان الحساب ويعصمان من الذنوب ، فصلوا أرحامكم وبرّوا ياخوانكم ، ولو بحسن السلام وردّ الجواب » <sup>(٣)</sup> ، ففي هذه الرواية نجد التأكيد على التكافل مع الأرحام بشقيه المادي والأدبي ، فإن لم يتحصل الأول لضيق ذات اليد ، فعلى الأقلّ تحصيل الثاني الذي نجد مصداقه

(١) الخصال : ٣٢ ، روضة الواعظين / ابن الفثال : ٣٨٨ ، منشورات الرضي ، قم.

(٢) الأمالي / الشيخ الصدوق : ٢٧٦ / ٣٠٧ ، المجلس السادس والثلاثون.

(٣) أصول الكافي : ٢ / ١٥٧ / ٣١ باب صلة الرحم من كتاب الإيمان والكفر.

بجسّن السلام وردّ الجواب.

وكان الرسول صلى الله عليه وآله يَنوّه بالشقّ الأدبي من التكافل فهو أضعف الإيمان ، قال صلى الله عليه وآله : « صلوا أرحامكم ولو بالسلام » <sup>(١)</sup>. وقد أكد الإمام الصادق عليه السلام على شقي التكافل ولو بحدودهما الدنيا قال : « صل رحمك ولو بشربة من ماء ، وأفضل ما يوصل به الرّحم كفّ الأذى عنهما » <sup>(٢)</sup>. ويبدو من هذا الخبر أن للتكافل الأدبي في بعض الأحيان أفضلية على التكافل المادي. حيث أراد إمامنا الصادق عليه السلام أن يفتح نافذة الوعي لتقدير أهمية التكافل الأدبي ، إنطلاقاً من أن دفع المفسدة والضرر أولى من جلب المصلحة. وعليه فمن لا يستطيع صلة أرحامه وإسداء النفع لهم ، فعليه أن يكفّ عن إلحاق الضرر بهم من حيث المبدأ.

وكان الإمام الصادق عليه السلام قدوةً في مدّ يد العون إلى الآخرين ، فعن الفضل بن قرّة ، قال : كان أبو عبدالله عليه السلام يبسط رداءه وفيه صرر الدنانير ، فيقول للرّسول : « إذهب بها إلى فلان وفلان من أهل بيته ، وقل لهم : هذه بعث إليكم بها من العراق ، — كناية عن وصول تلك الأموال إلى الإمام من العراق — قال : فيذهب بها الرّسول إليهم فيقول ما قال ، فيقولون : أما أنت فجزاك الله خيراً بصلتك قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وأما جعفر فحكّم الله بيننا وبينه ، قال : فيخرّ أبو عبدالله ساجداً ويقول : اللهم أذلّ رقبتي لولد

(١) تحف العقول : ٥٧.

(٢) أصول الكافي ٢ : ١٥١ / ٩ من الباب المتقدّم.

أبي» <sup>(١)</sup>.

يضاف إلى ماسبق أن قطيعة الأرحام تترك آثاراً سلبية مدمرة على مجمل النسيج الاجتماعي ، فتقطع خيوط التواصل بين الأهل والأقارب ، فنتج القطيعة والشقاق والتناحر ، فيستلزم كل ذلك حلول النقم ، وفناء الجماعات ، وهي أمور قد حذر منها أئمتنا الأطهار : ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : « حلول النقم في قطيعة الرحم » <sup>(٢)</sup>. وقال زين العابدين عليه السلام : « .. الذنوب التي تعجل الفناء قطيعة الرحم ... » <sup>(٣)</sup>.

ويلفت نظرنا أمير المؤمنين عليه السلام إلى حقيقة تحتاج إلى أن يكشف المتخصصون عن أبعادها ومراميتها ، وهي أن إعانة الأرحام والتكافل معهم يمنع من تدفق الأموال إلى أيدي الأشرار ، ويحول الشق المادي من التكافل دون حصول مجتمع رأسمالي استغلالي ، فمما لا شك فيه أن من يمتنع عن تقديم الحقوق المترتبة عليه تجاه أرحامه فسوف تتكدس الأموال بيده فيغدو — في الأعم الأغلب — رأسمالياً جشعاً ، أو تستغل قوى الشر أمواله المكدسة لمآربها الشريرة ، وبالإستناد لما تقدم ينكشف لنا أبعاد تأكيد أمير المؤمنين عليه السلام : « إذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار » <sup>(٤)</sup>.

صفوة القول : إن تأكيد الإسلام المتواصل على صلة الأرحام يعدّ من

(١) تنبيه الخواطر / للامير ورام ٢ : ٢٦٦ — دار صعب.

(٢) عيون الحكم والمواعظ / علي الليثي الواسطي : ٢٣٤.

(٣) معاني الأخبار : ٢٧١.

(٤) أصول الكافي ٢ : ٣٤٨ / ٨ باب قطيعة الرحم من كتاب الإيمان والكفر.

الأسس الاجتماعية التي يعتمد عليها مبدأ التكافل.

### ٣ - الجار

يعتبر الجار من ضمن الدائرة المكانية القريبة المشمولة بالرعاية الاجتماعية ، فالاهتمام بالجار بمثابة حجر آخر في بناء قاعدة صلبة للتكافل الاجتماعي ، من هنا يدرج القرآن الجار ضمن قائمة الفئات القريبة المطلوب أن يُحسن إليها ، قال تعالى : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> . ويلاحظ هنا أن القرآن قد أشار إلى صنفين من أصناف الجار ، وهما : الجار ذو القرى والجار الجنب ، ومعناهما : الجار القريب في النسب ، والجار الأجنبي الذي ليس بينك وبينه قرابة <sup>(٢)</sup> .

وهنا نجد أن القرآن يأمر بالإحسان للوالدين ثم للأقارب والأرحام ، ثم اليتامى والمساكين ، ولو أنهم أبعد مكاناً من الجار ، لأن اليتيم فقد الناصر والمعين ، ولأن المسكين وهو - هنا - الضعيف العاجز عن الكسب لا ينتظم حال المجتمع إلاّ بالعناية به. ثم تصل النوبة إلى الجار سواءً القريب منه ( الجار ذو القرى ) أو البعيد ( الجار الجنب ) ولكن تنطبق عليه صفة / الجار من الناحية المكانية. ولا ينحصر الإحسان بإعطاء المال ، بل يشمل الرفق به

(١) سورة النساء : ٤ / ٣٦ .

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن ٢ : ٩٨ ، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت .

والتواضع معه ، والسعي في قضاء حوائجه ، وتقديم النصح والمشورة له ، وكتمان سره ، وغض الطرف عن عثراته وعوراتهِ ، وعدم إشاعة السيئات عنه ، وإعارته أدوات المتزل وما إلى ذلك ، وعلى أية حال ، فإن الأمر بالإحسان إلى هؤلاء ندب لا فرض.

وتتبدى أهمية الجوار في دعوات الرسول ﷺ الملحة والمتكررة الداعية إلى التعاطف والتكافل مع الجيران وإسداء العون والمساعدة لهم واعتباره ذلك من ضمن لوازم الإيمان ، قال ﷺ : « ما آمن بي من بات شبعانَ وجاره المسلم جائع ، وقال : وما من أهل قرية يبيت فيهم جائع ينظر الله إليهم يوم القيامة » <sup>(١)</sup> وورد الخبر من طريق آخر عن أمير المؤمنين عليه السلام ، عن رسول الله ﷺ بتفصيل أكثر ، وفيه : « ما آمن بالله واليوم الآخر من بات شبعان وجاره جائع ، فقلنا : هل كنا يا رسول الله ، فقال ﷺ : من فضل طعامكم ، ومن فضل تمركم وورقكم وخلقكم وخرقكم ، تطفنون بها غضب الرب » <sup>(٢)</sup>.

وروى عن علي بن الحسين عليه السلام ، قال : « من بات شبعان وبحضرتة مؤمن طاوٍ ، قال الله عز وجل : ملائكتي ، أشهدكم على هذا العبد ، أنني أمرته فعصاني ، وأطاع غيري ، وكلته إلى عامله ، وعزتي وجلالي لا

(١) أصول الكافي ٢ : ٦٦٨ / ١٤ باب حق الجوار من كتاب العشرة.

(٢) وسائل الشيعة ١٧ : ٢٠٩ / ١ باب (٤٩) ما ينبغي للوالي العمل به في نفسه ، تحقيق مؤسسة آل البيت : ، ط ٢ .

غفرت له أبدا» (١).

فهذه الروايات بطرقها المتعددة وألفاظها المختلفة تصرح بصورة واضحة بضرورة التكافل مع الجيران وخاصة الشق المادي منه ، أما التكافل المعنوي معهم فقد أشار الرسول ﷺ إليه في معرض كلامه عن الحقوق المترتبة للجار ، قال ﷺ : « إن استغاثك أعتته ، وإن استقرضك أقرضته ، وإن افتقر عدت إليه ، وإن أصابته مصيبة عزيتيه ، وإن أصابه خير هنأتته ، وإن مرض عدته ، وإن مات اتبعت جنازته... ولا تؤذ به بريح قدرك إلا أن تغفر له منها » (٢).

ضمن هذا السياق حذر الرسول ﷺ أشد التحذير من التقصير في حق الجار ، وكشف عن العواقب السلبية لمن أساء لجيرانه أو قصّر في التكافل معهم ، قال ﷺ : « من منع الماعون جاره منعه الله خيره يوم القيامة ، ووكله إلى نفسه ، ومن وكله إلى نفسه فما أسوأ حاله » (٣).

وكان أهل البيت : يسرون على نهج الرسول ﷺ ويقتدون به ، فكانوا يحثون أتباعهم على البر بالجار ، ويعملون على إشاعة روح التعاون مع الجيران ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : « من حُسن الجوار تفقد الجار » (٤).

تمنّ في هذا الدعاء من أدعية الصحيفة السجادية ، الذي يقدم لنا رؤية

(١) عوالي الآلي / الأحسائي ١ : ٣٤٤ / ١٢١.

(٢) مسكن الفؤاد / الشهيد الثاني : ١٠٥ ، مؤسسة آل البيت لأحياء التراث ، ط ١.

(٣) أمالي الصدوق : ٥١٥ ، المجلس (٦٦).

(٤) تحف العقول : ٨٥.



تكافلية كاملة ( أدبية ومادية ) : « اللَّهُمَّ تَوَلَّنِي فِي جِرَانِي بِإِقَامَةِ سُنتِكَ ، والأخذ بمحاسن أدبك في إرفاق ضعيفهم ، وسدَّ خَلَّتِهِمْ ، وتعهد قادمهم ، وعبادة مريضهم ، وهداية مسترشدهم ، وكتمان أسرارهم ، وستر عوراتهم ، ونصرة مظلومهم ، وحُسن مواساتهم بالماعون ، والعود عليهم بالجدَّة والإفضال ، وإعطاء ما يجبُ لهم قبل السؤال والجدود بالنوال يا أرحم الراحمين » <sup>(١)</sup>.

#### ٤ — العشيرة

لقد احتفظت العشيرة في مقام الصدارة في توجهات الإسلام الاجتماعية. فالإسلام ينسجم مع الخلقة حيث خلق الله الناس شعوباً وقبائل ، كما يحافظ على الأنساق الاجتماعية في البيئة العربية التي تمنح العشيرة دوراً أساسياً في التركيبة السكانية ، وعليه فالتكافل مع العشيرة — وهم في دائرة القرابة القريبة — يغدو كضرورة اجتماعية تتطلبها الظروف التي تحيط بالفرد وحاجته الماسة للرعاية والحماية ، وخاصة في أوقات الأزمات وغياب الأمن وعدم وجود مؤسسات رعوية رسمية. فالتكافل مع العشيرة — والحال هذه — أمر لا يقبل الجدل.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يوصي أولاده وأصحابه بإكرام العشيرة ، لما لها من دور واسع المدى وعميق الأثر في الحياة الاجتماعية ، فمن وصايا لابنه

(١) الصحيفة السجادية الكاملة : ١٣٢ دعاء ٢٦ ، نشر وتحقيق مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام ، ط ١ .

الحسن عليه السلام : « ... وأكرم عشيرتك ، فإنهم جناحك الذي به تطير ، وأصلك الذي إليه تصير ، ويدك التي بها تصول » <sup>(١)</sup> . وفي نص آخر يصرح بأهمية التكافل مع القرابة والعشيرة ويعلل ذلك تعليلاً عميقاً يتناسب مع البيئة الاجتماعية التي عاصرها ، يقول عليه السلام : « أيها الناس ، إنه لا يستغني الرجل — وإن كان ذا مال — عن عترته ، ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم ، وهم أعظم الناس حيطة من ورائه وألمهم لشعته ، وأعطفهم عليه عند نازلة إذا نزلت به... ألا لا يعدلن أحدكم عن القرابة يرى بها الخاصة أن يسدها بالذي لا يزيده إن أمسكه ، ولا ينقصه إن أهلكه ، ومن يقبض يده عن عشيرته ، فإتما تقبض منه عنهم يد واحدة ، وتقبض منهم عنه أيدي كثيرة... » <sup>(٢)</sup> .

ولابد من إلفات النظر إلى أن أمير المؤمنين عليه السلام لا ينطلق من نظرة عنصرية ضيقة ، تضع التعصب للعشيرة فوق قواعد الحق واعتبارات الدين ، بل هو في الوقت الذي يدعو إلى التكافل مع العشيرة يحث على أن لا يكون ذلك على حساب الدين ، وان لا يؤدي ذلك إلى القطيعة معه ، وخير شاهد تاريخي على ذلك تعنيفه للمندر بن الجارود العدي ، وقد خان في بعض ما ولّاه من أعماله ، قال له موجباً : « ... لا تدع هواك انقياداً ، ولا تُبقي لآخرتك عتاداً ، تعمُر دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ ، وتصلُ عشيرتك بقطيعة دينك » <sup>(٣)</sup> .

(١) هج البلاغة / ضبط صبحي الصالح : ٤٠٥ ، الكتاب (٣١).

(٢) هج البلاغة / ضبط صبحي الصالح : ٦٥ ، الخطبة (٢٣).

(٣) هج البلاغة / ضبط صبحي الصالح : ٤٦٢ ، الكتاب (٧١).

فالإمام عليه السلام يقيم مذهبه الاجتماعي على أساس قواعد الدين ، فكل تجاوز لهذه القواعد يقذف بفكرة التكافل بعيداً في أغوار مسالك الشر.

## ثانياً : الفئات المحرومة

هناك مجموعة من الفئات المحرومة هي بأمرس الحاجة إلى التكافل الاجتماعي بعد أن قرضهم الفقر. بمنشاره ، وأسكتهم الحاجة والفاقة ، وهم على النحو التالي :

### ١ - الأيتام

الإسلام كدين اجتماعي تتمثل فيه مبادئ الرحمة والعطف ، لا يريد ان يترك هذه الشريحة الكبيرة من المجتمع فريسة الفقر والحاجة ، لذلك كانت هذه الفئة بمثابة القطب من الرحي في توجهاته التكافلية ، فهناك الآيات القرآنية الكثيرة التي تحث على الاهتمام بالأيتام ، وتدعو إلى تأمين مستلزمات العيش الشريف لهم ، منها قوله تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ... ﴾ <sup>(١)</sup> ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وقوله : ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ \* فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴾ <sup>(٣)</sup> . وقوله : ﴿ كَلَّا بَلْ لَّا تُكْرَمُونَ الْيَتِيمَ ﴾ <sup>(٤)</sup> . فهنا نجد دعوة صريحة للتكافل

(١) سورة البقرة : ٢ / ٢٢٠ .

(٢) سورة الضحى : ٩٣ / ٩ .

(٣) سورة الماعون : ١٠٧ / ١ - ٢ .

(٤) سورة الفجر : ٨٩ / ١٧ .

الأدبي معهم ، ولوماً وتقريباً لكل من يقصّر في ذلك.

وهناك طائفة من الآيات تدعو إلى التكافل المادي الصريح مع الأيتام ،  
منها : قوله تعالى : ﴿ ... وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ  
وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ ﴾ <sup>(١)</sup> ، وقوله :  
﴿ ... وَيَالُوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وقوله : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ  
الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا  
مَعْرُوفًا ﴾ <sup>(٣)</sup> ، وقوله : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ  
أَشُدَّهُ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

وكان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يوقظ في نفوس الناس العاطفة الدينية تجاه  
الأيتام ، ويكثر من التوصية بهم ، ويدعو إلى كفالتهم ، قال صلى الله عليه وآله : « أنا وكافل  
اليتيم في الجنة كهاتين » <sup>(٥)</sup> . وعنه صلى الله عليه وآله : « من عال يتيماً حتى يستغني  
عنه ، أوجب الله عزّ وجل له بذلك الجنة ، كما أوجب الله لأكل مال اليتيم  
النار » <sup>(٦)</sup> .

ولم تقتصر تعاليم الرسول الاجتماعية على تأمين التكافل المادي للأيتام

(١) سورة البقرة : ٢ / ١٧٧ .

(٢) سورة البقرة : ٢ / ٨٣ .

(٣) سورة النساء : ٤ / ٨ .

(٤) سورة الإسراء : ١٧ / ٣٤ .

(٥) مشكاة الأنوار / علي الطبرسي : ٢٩٢ .

(٦) الكافي ٧ : ٥١ / ٧ باب صدقات النبي صلى الله عليه وآله وفاطمة والأئمة : ووصاياهم من  
كتاب الوصايا .

فحسب ، بل كان يولي التكافل الأدبي المزيد من العناية والأهمية ، قال ﷺ موصياً : « كن لليتيم كالأب الرحيم ، واعلم أنك [ كما ] تزرع كذلك تحصد »<sup>(١)</sup>.

وروي أن رجلاً شكاً إلى النبي ﷺ قساوة قلبه ، فقال : « إذا أردت أن يلين قلبك فأطعم المسكين وامسح رأس اليتيم »<sup>(٢)</sup> وفي رواية أخرى أنه قال له : « فادن منك اليتيم وامسح رأسه وأجلسه على خوانك ، يلين قلبك وتقدر على حاجتك »<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ : « اشبع اليتيم والأرملة ، وكن لليتيم كالأب الرحيم ، وكن للأرملة كالزوج العطوف ، تعط كل نفس تنفست في الدنيا قصرأ في الجنة ، كل قصر خير من الدنيا وما فيها »<sup>(٤)</sup>.

هذه التوجهات الحضارية أشاعت أجواء الطمأنينة في نفوس الأيتام وخلققت الاستقرار الاجتماعي على الرغم من الاضطراب السياسي الذي خيم على المجتمع الإسلامي آنذاك.

وإذا ما أضفنا إلى كل هذا مساعي مدرسة أهل البيت : الخيرة التي أسهمت بنصيب وافر في تشجيع أعمال الخير ، فكانت كالواحة الوارفة الظلال في مجال التكافل وخاصة مع الأيتام في المقام الأول. فكان أمير المؤمنين عليه السلام

(١) كثر الفوائد / الكراچكي : ١٩٤ ، مكتبة المصطفوي — قم ، ط ٢.

(٢) مشكاة الأنوار / علي الطبرسي : ٢٩٣.

(٣) مشكاة الأنوار / علي الطبرسي : ٢٩٣.

(٤) مشكاة الأنوار / علي الطبرسي : ٢٩٣.

يوصي بهم حتى قبل موته بقليل ، فقد تضمنت وصيته الأخيرة قوله عليه السلام : « الله الله في الأيتام ، فلا تغبّوا أفواههم <sup>(١)</sup> ، ولا يضيعوا بحضرتكم ، فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله : من عال يتيماً حتى يستغني أوجب الله عز وجل له بذلك الجنة <sup>(٢)</sup> » ، وعنه عليه السلام : « ما من مؤمن ولا مؤمنة يضع يده على رأس يتيم ترحمأ له إلا كتب الله له بكل شعرة مرّت يده عليها حسنة <sup>(٣)</sup> .

وعن أبي الطفيل ، أنّه قال : « رأيت علياً عليه السلام يدعو اليتامى فيطعمهم العسل حتى قال بعض أصحابه : لوددت أني كنت يتيماً <sup>(٤)</sup> .

أما الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام وكلاهما يضيء من مشكاة واحدة ، فيحثان على تكفل أيتام آل محمد صلى الله عليه وآله بعد أن اتبع معهم الطغاة سياسة ( السيف والنطع ) فقتلوهم تحت كل حجر ومدبر ، فمن الطبيعي والحال هذه أن يكثر أيتامهم ، ويكونوا ضحايا نظام اجتماعي جائر لا يكثر بهم ، فيفتروا الأرض ويلتحفوا السماء. فأراد أئمة أهل البيت : أن يرتقوا بشيعتهم إلى

(١) أغبّ القوم : جاءهم يوماً وترك يوماً ، وقوله : « لا تغبّوا أفواههم » أي صلوا أفواههم بالإطعام ولا تقطعوه عنها. انظر : هج البلاغة ، صبحي الصالح : ٧٧ ، هامش ١ .

(٢) الكافي ٧ : ٥١ / ٧ باب صدقات النبي صلى الله عليه وآله وفاطمة والأئمة : ووصاياهم من كتاب الوصايا .

(٣) ثواب الأعمال / الشيخ الصدوق : ١٩٩ .

(٤) مناقب آل أبي طالب / ابن شهر آشوب ١ : ٣٤٨ ، المطبعة الحيدرية — النجف —

مستوى التحدي الاجتماعي ، لاسيما وأهم يرزحون تحت وطأة ظلم صارخ عبر التاريخ. ومن الشواهد على تأجيج الأئمة : للعواطف النبيلة لكفالة أيتام آل محمد ﷺ ما قاله الإمام الحسن عليه السلام : « فضل كافل يتيّم آل محمد المنقطع عن مواليه الناشب في رتبة الجهل — يخرج من جهله ، ويوضح له ما اشتبه عليه — على فضل كافل يتيّم يطعمه ويسقيه ، كفضل الشمس على السهي » (١).

أما الإمام الحسين عليه السلام فيقول في هذا الصدد : « من كفّل لنا يتيماً قطعته عنّا محبتنا باستئراننا ، فواساه من علومنا التي سقطت إليه حتّى أرشده وهداه ، قال الله عزّ وجلّ : أَيُّهَا الْعَبْدُ الْكَرِيمُ الْمَوَاسِي أَنَا أَوْلَى بِالْكَرَمِ مِنْكَ ... » (٢).

فمثل هذه النصائح والتوجهات تفسح المجال واسعاً أمام الاهتمام بالأيتام ، وتهيء الأجواء لبناء وتدعيم علاقات تكافلية معهم ، وإلاّ تحولت حياتهم إلى صحراء مجذبة. ففي غياب منهج التكافل تتشكل ظاهرة التسوّل والتشرّد وبالتالي تنمو جذور الجريمة فيما بينهم ويقعون في هاوية الفساد.

## ٢ — الفقراء والمساكين

ويأتون في المرتبة الثانية من الاهتمام بعد فئة الأيتام ، والقرآن يحث على الإنفاق على هذه الفئة ، قال تعالى : ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ

(١) الاحتجاج / الطبرسي ١ : ٧ ، دار النعمان.

(٢) بحار الأنوار ٢ : ٤ / ٥.

لَا تُظْلَمُونَ \* لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا... ﴿١﴾. فالفقراء والمساكين يستحقون التكفل والنفقة بنص القرآن ، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ... ﴾ <sup>(١)</sup> وفي معرض تفسيره لهذه الآية يفرّق الإمام الصادق عليه السلام بين الفقير والمسكين والبائس بقوله : « الفقير الذي لا يسأل الناس ، والمسكين أجهد منه ، والبائس أجهدهم » <sup>(٢)</sup>.

والإسلام يريد أن تكون العلاقة بين الغني والفقير علاقة تكافل وتعاون ، لذلك فرض على الأغنياء كفالة الفقراء ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : « إنَّ الله فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ ، فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مَتَعَ بِهِ غَنِيٌّ ، وَاللَّهُ تَعَالَى سَأَلَهُمْ عَنْ ذَلِكَ » <sup>(٣)</sup>.

والإمام الصادق عليه السلام يؤكد هذه الحقيقة المهمة بقوله : « إنَّ الله عَزَّوَجَلَّ فَرَضَ لِلْفُقَرَاءِ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ مَا يَكْتَفُونَ بِهِ ، وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّ الَّذِي فَرَضَ لَهُمْ لَمْ يَكْفِهِمْ لِزَادَهُمْ ، فَإِنَّمَا يُوْتَى الْفُقَرَاءُ فِيمَا أُوْتُوا مِنْ مَنَعٍ مِنْ مَنَعِهِمْ حَقُّوْقِهِمْ ، لَامِنْ الْفَرِيضَةِ » <sup>(٤)</sup>.

(١) سورة البقرة : ٢ / ٢٧٢ — ٢٧٣.

(٢) سورة التوبة : ٩ / ٦٠.

(٣) تفسير نور الثقلين ٣ : ٤٩١ ، تفسير الآية (٩٠) من سورة التوبة.

(٤) تصنيف نهج البلاغة / لبيب بيضون : ٦٢٨.

(٥) علل الشرائع / الشيخ الصدوق ٢ : ٣٦٩ / ٢ ، باب ٩٠ ، علة الزكاة ، المطبعة

الحيدرية ، النجف ، ١٣٨٦ هـ.



وقال ﷺ : « إن الله تعالى خلق الخلق كلهم صغيرهم وكبيرهم ، فعلم صغيرهم وكبيرهم ، وعلم غنيهم وفقيرهم ، فجعل من كل ألف إنسان خمسة وعشرين مسكيناً ، فلو علم أن ذلك لا يسعهم لزداهم ، لانه خالقهم وهو أعلم بهم » <sup>(١)</sup>.

وعلى ضوء ما تقدم نجد أن النظام الاقتصادي الإسلامي قد حل مشكلة الفقر من خلال مبدأ التكافل ، وتوسيع المشاركة الاجتماعية بحيث يكفل الغني الفقير. فشيوخ ظاهرة الفقر في المجتمعات الإسلامية لا يمكن إرجاعها لضعف أو قصور في النظام الاقتصادي الإسلامي ، بل لتقصير الأغنياء في كفالة الفقراء وتبديلهم نعمة الله كفوفاً. كما أخبر أمير المؤمنين ﷺ بقوله : « اضربْ بطرفك حيث شئت من الناس ، فهل تبصر إلا فقيراً يكابدُ فقراً ، أو غنياً بدّلَ نعمة الله كفوفاً... » <sup>(٢)</sup>. فالتقصير ينصب بالدرجة الأساس على الأغنياء ، لذلك كان أمير المؤمنين ﷺ يحملهم — بصورة أساسية — مسؤولية تفشي الفقر في المجتمع بقوله : « ولا يعولُ غنيهم فقيرهم » <sup>(٣)</sup>.

وكانت الشريعة توظف في نفوس المسلمين العاطفة الدينية تجاه الفقراء والمساكين ، وتدعم توجهاتها الاجتماعية هذه بمبدأ ( الثواب الأخروي ) لتحقيق هذه الغاية النبيلة ، جاء في وصية أمير المؤمنين لأبنه الحسن ﷺ : « وإذا

(١) علل الشرائع ٢ : ٣٦٩ ، باب ٩١ ، العلة التي من أجلها صارت الزكاة من كل ألف درهم خمسة وعشرين درهماً.

(٢) تصنيف نهج البلاغة / لبيب بيضون : ٦٢٧.

(٣) المصدر السابق : ٦٢٧.

وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك إلى يوم القيامة فيوافيك به غداً حيث تحتاج إليه فاعتنمه وحمله إياه ، وأكثر من تزويده وأنت قادر عليه فلعلك تطلبه فلا تجده... »<sup>(١)</sup>.

وقد بذل أئمة أهل البيت عليهم السلام أقصى ما يستطيعون من جهد في سبيل إعانة الفقراء والمساكين بعد أن وجدوا أن السلطات الحاكمة كانت تستأثر بالأموال وتقتصر في أداء الحقوق المفروضة للفقراء وتتركهم فريسة العوز والفاقة ، وعلى سبيل الاستشهاد كان إمامنا السجاد عليه السلام يخرج في الليلة الظلماء فيحمل الجراب على ظهره حتى يأتي الفقراء باباً باباً ، فيقرعه ثم يناول من كان يخرج إليه ، وكان يغطي وجهه إذا ناول فقيراً لئلا يعرفه ، فلما توفي عليه السلام فقدوا ذلك ، فعلموا أنه كان علي بن الحسين<sup>(٢)</sup>.

وكان هذا الإمام العظيم يتبع شتى الأساليب لترغيب الناس على التصدق على المساكين ويبرز المردودات الإيجابية التي تلحق المنفق ، ومنها دعاء المسكين له واستجابة الله عزّ وجل لدعائه ، قال عليه السلام : « ما من رجل تصدق على مسكين مستضعف ، فدعا له المسكين بشيء تلك الساعة إلاّ استجيب له »<sup>(٣)</sup>.

وكان ائمتنا : يفتحون نافذة الوعي عند الناس لإدراك أهمية التكافل مع الفقير ، وكانوا يحرصون على عدم إراقة ماء وجه الفقراء لذلك اتبعوا

(١) نهج البلاغة / ضبط صبحي الصالح ، الكتاب (٣١).

(٢) الخصال / الشيخ الصدوق : ٥١٧.

(٣) ثواب الأعمال : ١٤٥.

أسلوب التخفي في العطاء ، وكانوا يثنون على صيانة كرامة الفقير وعدم الاستخفاف به اقتداءً برسول الله ﷺ الذي يقول : « ألا ومن استخفَّ بفقير مسلم فقد استخفَّ بحقِّ الله ، والله يستخفُّ به يوم القيامة ، إلا أن يتوب »<sup>(١)</sup>.

وهكذا نجد أن تكفّل الفقير والمسكين كان بمثابة حجر الزاوية في توجهات مدرسة أهل البيت : الاجتماعية.

### ٣ - السائلون والخرومون

وهنا نجد دعوة قرآنية للتكافل المادي مع هاتين الفئتين المعوزتين ، ففي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ \* لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾<sup>(٢)</sup> نلاحظ موقف التمجيد بالتكافل المادي معهم ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴾<sup>(٣)</sup> نجد دعوة للتكافل الأدبي مع السائل خاصة ، ويستلزم ذلك الدعوة لاحترامه وصون كرامته.

وجاء في تفسير الإمام الصادق عليه السلام لقوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ \* لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ ، « الخروم : المحارف الذي قد حرم كدّ يده في الشراء والبيع ». وعن الصادقين عليه السلام : « المحروم الرجل الذي

(١) من لا يحضره الفقيه / الشيخ الصدوق ٤ : ١٣ ، جماعة المدرسين ، ط ٢ - ١٤٠٤ هـ.

(٢) سورة المعارج : ٧٠ / ٢٤ - ٢٥.

(٣) سورة الضحى : ٩٣ / ١٠.

ليس بعقله بأس ، ولم يبسط له في الرزق ، وهو محارف » <sup>(١)</sup>.

وعلى كل حال فإن مبدأ التكافل يستدعي التضامن مع هؤلاء ، وخاصة السائل الذي يكشف لك عن أمارات وعلائم عوزه من خلال سؤاله ، والتعاليم السماوية عموماً تحت على إكرام السائل ، ففيما أوحى إلى موسى عليه السلام : « اكرم السائل إذا أتاك بردٌ جميل أو إعطاء يسير » <sup>(٢)</sup>.

وعن زين العابدين عليه السلام : « حقّ السائل إعطاؤه على قدر حاجته » <sup>(٣)</sup>.

وترتقي مدرسة أهل البيت : في مجال التكافل إلى مستوى إنساني رفيع ، بكفالتها للسائلين من أهل الأديان الأخرى.

فقد مرّ شيخ مكفوف كبير يسأل ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : « ما هذا ؟

قالوا : يا أمير المؤمنين نصرانيّ ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : استعملتموه حتّى إذا كبر وعجز منعموه؟! أنفقوا عليه من بيت المال » <sup>(٤)</sup>.

فالإسلام لا يأمر بقطع خيوط التواصل مع أهل الأديان ، ويأمر بالتكافل معهم في الظروف الصعبة ، إذ يتسامى فوق الفوارق والخلافات الدينية ، ويرفع قوس بصره إلى مستوى الإنسانية.

(١) الكافي ٣ : ٥٠٠ / ١٢ باب فرض الزكاة وما يجب في المال من الحقوق ، من كتاب الزكاة.

(٢) تحف العقول : ٤٩٢.

(٣) الخصال / الشيخ الصدوق : ٥٧٠.

(٤) وسائل الشيعة ١٥ : ٦٦ / ١٩٩٩٦ باب أن نفقة النصراني إذا كبر وعجز عن الكسب من بيت المال ، من كتاب الجهاد.

عن مصادف ، قال : كنت مع أبي عبدالله عليه السلام بين مكّة والمدينة ، فمررنا على رجل في أصل شجرة وقد ألقى بنفسه ، فقال عليه السلام : « مل بنا إلى هذا الرجل ، فإني أخاف أن يكون قد أصابه عطش ، فملنا فإذا رجل نصراني من القراسين طويل الشعر ، فسأله : أعطشان أنت ؟ فقال : نعم ، فقال لي : انزل يا مصادف فاسقه ، فترلت وسقيته ، ثم ركبت وسرنا ، فقلت : هذا نصراني ، فتصدّق على نصراني؟! فقال : نعم إذا كانوا في مثل هذه الحال » <sup>(١)</sup>.

فهذا الرجل — أي مصادف — يستغرب من إقدام الأئمة : على التكافل مع أهل الكتاب. وفاته أن الأئمة ينطلقون من رؤى إنسانية واسعة الأفق تلتقي مع مبادئ الإسلام الداعية إلى التراحم والتعاطف مع كل الناس ، بل وتتسع لتشمل العطف على الحيوان وعلى كل ذي روح.

عن نجيح ، قال : رأيت الحسن بن علي عليه السلام يأكل وبين يديه كلب ، كلما أكل لقمة طرح للكلب مثلها ! فقلت له : يا بن رسول الله ألا أرحم هذا الكلب عن طعامك ؟ قال : « دعه ، إنني لأستحيي من الله تعالى أن يكون ذو روح ينظر في وجهي وأنا آكل ثم لا أطعمه » <sup>(٢)</sup>.

وضمن هذا الباب تؤكد تعاليم مدرسة أهل البيت : على استحباب قناعة السائل ودعائه لمن أعطاه ، وزيادة إكرام السائل القانع الشاكر ، فبإسناد ينتهي إلى مسمع بن عبد الملك قال : كنّا عند أبي عبدالله عليه السلام بمعى وبين يدينا

(١) الكافي ٤ : ٥٧ / ٤ .

(٢) مستدرک الوسائل ٧ : ١٩٢ / ٨٠٠٥ .

عنب تأكله ، فجاء سائل فسأله ، فأمر له بعنقود فأعطاه ، فقال السائل : لا حاجة لي في هذا ، إن كان درهم ، فقال عليه السلام : « يسع الله لك ولم يعطه شيئاً . فذهب ثم رجع فقال : ردّوا العنقود ، فقال عليه السلام : يسع الله لك ولم يعطه شيئاً ، ثم جاء سائل آخر فأخذ أبو عبدالله عليه السلام ثلاث حبات عنب فناولها إياه ، فأخذ السائل من يده ، ثم قال : الحمد لله رب العالمين الذي رزقني . فقال أبو عبدالله عليه السلام : مكانك فحنا ملء كفيّ عنباً فناولها إياه ، فأخذها السائل من يده ثم قال : الحمد لله ربّ العالمين ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : مكانك يا غلام ، أي شيء معك من الدرّاهم ؟ فإذا معه نحو من عشرين درهماً فيما حزرناه أو نحوها ، فناولها إياه فأخذها ثم قال : الحمد لله هذا منك وحدك لا شريك لك . فقال أبو عبدالله عليه السلام : مكانك ، فخلع قميصاً كان عليه ، فقال : إلبس هذا ، فلبس ثم قال : الحمد لله الذي كساني وستري يا أبا عبدالله ، أو قال : جزاك الله خيراً ، لم يدع لأبي عبدالله عليه السلام إلا بدا ، ثم انصرف فذهب ، قال : فظننا أنّه لو لم يدع له لم يزل يعطيه لأنّه كلّما كان يعطيه حمد الله [ على ما ] أعطاه » <sup>(١)</sup> .

هكذا كان نهج آل البيت : مع السائل ضمن دائرة التكافل ، وهكذا كان أدبهم الرّفيع في العطاء معهم . فهو يريد من السائل أن لا يغفل عن الله تعالى الذي هو مصدر الرّزق والعطاء ، وأن يدرك بأن الإنسان المنفق ، وأن سمت مكانته وعلا شأنه ليس إلا مجرد وسيلة للفيوضات الإلهية .

(١) الكافي ٤ : ٤٩ / ١٢ باب النوادر من كتاب الزكاة .

#### ٤ - الأسرى والمكرويون

يَتَّسِعُ مَبْدَأُ التَّكَاْفَلِ لِفَتَاةٍ مَحْرُومَةٍ أُخْرَى كَالْأَسْرَى وَالمَكْرُوبِينَ ، فَقَدْ أَوْجَبَ الإِسْلَامُ لِلْأَسِيرِ حَقُوقًا تَكَاْفَلِيَّةً كَالْإِطْعَامِ وَالإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَإِنْ كَانَ يَرَادُ فِي الْغَدِ الإِقْتِصَاصَ مِنْهُ . عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَيَّ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ <sup>(١)</sup> قَالَ : « هُوَ الْأَسِيرُ وَقَالَ : الْأَسِيرُ يَطْعَمُ وَإِنْ كَانَ يَقْدُمُ لِلْقَتْلِ وَإِنْ عَلِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَطْعَمُ مَنْ خَلَدَ فِي السِّجْنِ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ » <sup>(٢)</sup> .

وَتَحْدُرُ الإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ أَغْلَبَ الْمَفْسَّرِينَ ذَكَرُوا أَنَّ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَيَّ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ كَانَتْ نَزَلَتْ فِي أَهْلِ الْبَيْتِ : عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ وَالحَسَنَ وَالحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ حِينَمَا تَصَدَّقُوا عَلَى الْمَسْكِينِ وَاليَتِيمِ وَالْأَسِيرِ <sup>(٣)</sup> .

وَالْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ عَنِ الرَّسُولِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ : تَفَجَّرَ فِي نَفُوسِ الْمُسْلِمِينَ نِيَابِيعُ الْخَيْرِ وَالْعَطَاءِ لِلْمَكْرُوبِينَ وَالمَعْسَرِينَ ، لِكُونِهَا مَفْعَمَةٌ بِشَحْنَةٍ عَاطِفِيَّةٍ كَبِيرَةٍ تَجَاهَهُمْ ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « مِنْ كَفَّارَاتِ الذَّنُوبِ الْعِظَامِ

(١) سورة الإنسان : ٧٦ / ٨ .

(٢) علل الشرائع ٢ : ٥٣٧ باب ٣٢٥ .

(٣) راجع : الكشَّاف / الزمخشري ٤ : ٦٧٠ ، وتفسير الرازي ٣٠ : ٢٤٣ عند تفسير الآية المذكورة .

إغاثة الملهوف ، والتنفيس عن المكروب »<sup>(١)</sup>.

وعن الإمام الصادق عليه السلام : « أيما مؤمن نفّس عن مؤمن كربة وهو معسر ، يسّر الله له حوائجه في الدنيا والآخرة »<sup>(٢)</sup> ، وكان لهذه الأحاديث أبعادها العميقة في أغوار الفكر ، وقد تجسدت في سلوك تكافلي على صعيد الواقع. حيث سادت في الإسلام ثقافة التكافل ، ومن المعروف أنّ الإنسان ابن ثقافته ويعكس هذه الثقافة في كافة تصرفاته ، لذا لم تكن في العصور الإسلامية الأولى ظاهرة التسول والتشرد منتشرة بشكل ملحوظ ، وقد أشرنا إلى أن أمير المؤمنين عليه السلام في خلافته الرشيدة استغرب وتعجب عندما وقعت عيناه على رجل نصراني يستعطي الناس !

وهناك فئات أخرى يكفل لها الإسلام حاجتها عند الضرورة ، منها : الغارم وهو من كان عليه دين وعجز عن أدائه ، فيجوز أداء دينه من الزكاة ، وإن كان متمكناً من إعالة نفسه وعائلته سنة كاملة بالفعل أو القوة<sup>(٣)</sup> ، وكذلك ابن السبيل : وهو المسافر الذي نفدت نفقته أو تلفت راحلته ، ولا يتمكن من الرجوع إلى بلده ، وإن كان غنياً فيه<sup>(٤)</sup>.

(١) تصنيف نهج البلاغة / لبيب بيضون : ٦٢٦ .

(٢) أصول الكافي ٢ : ٢٠٠ / ٥ ، باب تفريغ كرب المؤمن .

(٣) المسائل المنتخبة / السيد السيستاني : ٢٣٠ .

(٤) المصدر السابق : ٢٣١ .



## الفصل الثالث :

### متطلبات التكافل وسبل تأمينها

#### المبحث الأول :

##### متطلبات التكافل :

لم يألُ الإسلام جهداً من أجل تأمين المتطلبات الأساسية للمحتاجين في حدود الإمكانيات المتاحة ، وهي :

##### أولاً — الماء :

وهو مادة حيائية لا يستطيع الإنسان الاستغناء عنه بحال ، لذلك حثَّ الإسلام على التكافل بين المسلمين من أجل تأمينه للمحتاجين. وكانت مشكلة ندرة المياه تثير الصراعات والحروب بين القبائل العربية في الجاهلية ، ومما يعقد المشكلة طغيان نزعة الأنانية والاستئثار في نفوس الناس في العصر الجاهلي ، لا سيما وأنهم يعيشون في بيئة صحراوية تقل فيها مصادر المياه ، فكان من الطبيعي والحال هذه أن يسعى البعض جاهدا للسيطرة على منابع المياه وحرمان الآخرين منها ، وهنا تستعر حالة التقاتل بين القبائل على مصادر الكأ والماء. فلما جاء الإسلام عمل على تهذيب النفوس وحارب حالة

الاستئثار ، وفعل قيم الإيثار والخير في نفوس معتقديه ، فخفضت حدة هذه المشكلة العويصة. وها هي اليوم تطل برأسها نذر الشؤم ، فالخبراء من سياسيين وعسكريين يصرحون بأن الحروب القادمة بين الدول هي حروب على مصادر المياه ! يأتي ذلك في غياب أو تغييب مبادئ وقيم الإسلام ، التي لو شاعت وترسّخت في نفوس الناس لعمّ السلام والخير ، واحتفى شبح الحروب عن هذا الكوكب.

وكان الإسلام يعتمد على الوازع الديني في حمل الناس على التكافل في هذا الشأن ، فهو يدفعهم — طوعاً — نحو الصدقة ، ويعتبر صدقة الماء من أفضل أشكال الصدقات ، عن الرسول صلى الله عليه وآله — وقد سأله رجل : ما عمل إن عملت به دخلت الجنة ؟ قال : « اشتر سقاءً جديداً ثم اسق فيها حتى تحرقها ، فإنك لا تحرقها حتى تبلغ بما عمل الجنة » <sup>(١)</sup>.

وكان أهل البيت : يحثون المسلمين على تحقيق أعلى درجة من التعاون في هذا الشأن ، ويركزون على صدقة الماء ويكشفون عن فضيلتها ، قال الإمام الصادق عليه السلام : « أفضل الصدقة إيراد كبد حرى » <sup>(٢)</sup> ، ويقول الإمام الباقر عليه السلام : « من سقى كبدًا حرى من بهيمة أو غيرها أظله الله يوم لا ظل إلا ظله » <sup>(٣)</sup> ، وعن الإمام الصادق عليه السلام : « إن أول ما يبدأ به يوم القيامة

(١) عدّة الداعي / ابن فهد الحلبي : ٩٢.

(٢) الكافي ٤ : ٥٧ / ٢ ، باب سقى الماء من كتاب الزكاة.

(٣) الكافي ٤ : ٥٨ / ٦ ، باب سقى الماء من كتاب الزكاة.

صدقة الماء « (١) .

وفي الرواية التالية تتجلى أماننا واضحةً نفسيةً أمير المؤمنين عليه السلام المحببة للخير والساعية للشواب وخاصة سقي الماء ، عن أبي جعفر عليه السلام : « إن رسول الله صلى الله عليه وآله خرج في جيش فأدرسته القائلة وهو ما يلي ( ينبع ) فاشتد عليه حر النهار ، فانتهوا إلى ( سمرة ) فعلقوا أسلحتهم عليها ، وفتح الله عليهم ، فقسم رسول الله صلى الله عليه وآله موضع السمرة لعلي عليه السلام في نصيبه... فأمر مملوكيه أن يفجروا لها عيناً ، ففجرت فخرج لها مثل عنق الجزور — كناية عن كثرة الماء — فجاء البشر يسعى إلى علي عليه السلام يخبره بالذي كان ، فجعلها عليّ صدقة ، فكتبها : هذا صدقة لله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ليصرف الله وجهي عن النار صدقة بتلة بتلة في سبيل الله تعالى للقريب والبعيد في السلم والحرب واليتامى والمساكين وفي الرقاب « (٢) .

وجاء — تأكيد ذلك — في كتاب الغارات ، قال المؤلف : « أخرج عليه السلام ماء عين بينع وجعلها للحجيج ، وهو باق إلى يومنا هذا » (٣) .

ونود الإشارة إلى موقف يكشف المثل العالية التي يجسدها أهل البيت : في أحلك الظروف ، أنه لما أرسل عبيدالله بن زياد ( لعنة الله عليه )

(١) ثواب الأعمال : ١٣٩ .

(٢) مناقب أمير المؤمنين / محمد سليمان الكوفي ٢ : ٨٠ ، مجمع احياء الثقافة الإسلامية .

(٣) الغارات / إبراهيم التقي الكوفي ٢ : ٧٠١ .

قوة قتالية بقيادة الحر الرياحي لمضايقة الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه ومحاصرتهم وحملهم على الاستسلام ، وصلت هذه القوة المعادية بالقرب من قوات الإمام الحسين عليه السلام في حالة يرثى لها من العطش ، وهنا تسجل عدسة التاريخ موقفاً نبيلاً للإمام الحسين عليه السلام لا بد من الإشارة إليه والإشادة به. قال الإمام الحسين عليه السلام لفتيانه : « اسقوا القوم واروهم من الماء ، ورشّفوا الخيل ترشيفاً ، ففعلوا وأقبلوا يملؤون القصاع والطساس من الماء ثم يدنوونها من الفرس ، فإذا عب فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه وسقوا آخر ، حتى سقوها كلها. فقال علي بن الطعان الحاربي : كنت مع الحر يومئذ ، فجئت في آخر من جاء من أصحابه ، فلما رأى الحسين عليه السلام مابي وبفرسي من العطش ، قال : أنخ الراوية والراوية عندي السقاء ، ثم قال : يا ابن أخي أنخ الجمل ، فأنخته فقال : اشرب فجعلت كلما شربت سال الماء من السقاء ، فقال الحسين عليه السلام اخنث السقاء » أي اعطفه ، فلم أدر كيف أفعل ، فقام فحنثه فشربت وسقيت فرسي <sup>(١)</sup>.

وفي صورة مقابلة نجد الموقف الشائن وغير الشريف الذي جسده عبيد الله بن زياد الكذاب وابن الكذاب واللعين ابن اللعين وجنده لعنهم الله حينما منعوا الإمام الحسين عليه السلام وعياله وأصحابه من الماء ، يقول الرواة أنه لما اشتد العطش بالإمام الحسين عليه السلام ركب المسناة يريد الفرات والعباس عليه السلام أخوه بين يديه ، فاعترضته خيل ابن سعد لعنه الله ، فرمى رجل من بني

(١) الارشاد / الشيخ المفيد ٢ : ٧٨ ، دار المفيد ، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق

دارم قبّحه الله الإمام الحسين عليه السلام بسهم فأثبتته في حنكه الشريف ، فانتزع عليه السلام السهم وبسط يديه تحت حنكه الشريف ، حتى امتلأت راحته من الدم ثم رمى به وقال : « اللهم إني أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك » <sup>(١)</sup>. بالمقارنة بين الموقفين تتكشف لنا عظمة مدرسة أهل البيت : وأخلاقها ومثاليّتها مقابل المدرسة الأموية البغيضة التي أسّست على حرف هار فانهار بها وبقادتها لعنهم الله في نار جهنّم ، وبئس المصير.

### ثانياً — الطعام :

وهو حاجة أساسية لا بدّ منها لعيش الإنسان وبقائه على قيد الحياة. والإسلام لا يريد أن يُترك الإنسان فريسة الجوع. وعليه لا بدّ من تفعيل مبدأ التكافل من أجل إطعام الجياع وسد رمقهم. فمن الضرورة بمكان أن يبدأ الإنسان بسد جوع من يقرب له نسباً أو مكاناً ، وفي هذا الصدد يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله : « والذي نفس محمد بيده لا يؤمن بي عبد يبيت شعبان وأخوه — أو قال : جاره — المسلم جائع » <sup>(٢)</sup>.

وفي هذا الحديث إشارة تستحق التأمل ، وهي أن الاتجاه التكافلي جزء لا يتجزأ من الإيمان القلبي. فالإسلام — كما هو معلوم — إيمان وعمل ، والتكافل هنا يقع ضمن دائرة الإيمان العملي ، وبدون ذلك لا يمكن إطلاق صفة الإيمان

(١) اللهوف في قتلى الطفوف / السيد ابن طاووس : ٧٠ ، ط ١ — ١٤١٧ هـ ، مطبعة مهر.

(٢) الأمالي / الشيخ الطوسي : ٥٩٨ / ١٢٤١ ، المجلس (٢٦).

الكامل على من لا يمارس التكافل.

ويبدو أن لإطعام الطعام تقدم رتبي على بعض أعمال الإحسان ، يظهر ذلك من قول الإمام الصادق عليه السلام : « لأن أطعم مؤمناً محتاجاً أحبّ إليّ من أن أزوره ، ولأن أزوره أحبّ إليّ من أن أعتق عشر رقاب » <sup>(١)</sup>.

وليس خافياً بأن هناك أولوية وتقدم رتبي في الإسلام لبعض أعمال التكافل على بعض ، وإنّ لكلّ عمل خيري ثوابه الخاص به ، وحسب أهميته ، وما يدخله من نفع أو خدمة على المؤمنين.

ضمن هذا السياق للإطعام في الإسلام غاية سامية هي سد رمق الجوع ، وإبعاد شبح المجاعة عنهم ، وليس الغاية منه التفاخر ، أو تحقيق أغراض مصلحية ببذله للأغنياء وحجبه عن الفقراء. ومن الشواهد على ذلك : أن أمير المؤمنين عليه السلام كتب إلى ابن حنيف عامله على البصرة يعتّفه بشدّة : « يا ابن حنيف ! فقد بلغني أنّ رجلاً من فتيّة أهل البصرة دعاك إلى مأدبة ، فأسرعت إليها تُستطاب لك الألوان ، وتنقل إليك الجفان ، وما ظننت أنّك تجيب إلى طعام قوم عائلهم مجفوّ وغنيهم مدعوّ » <sup>(٢)</sup>.

وكان الأولى بهؤلاء أن يدعوا الفقراء إلى طعامهم ، ولكن يبدو أن الغايات المصلحية أو الجاملات كانت لها الأرححية ، فالإطعام إذن يراد منه وظيفة اجتماعية تكافلية بعيداً عن الإسراف والتبذير والتشريفات الفارغة أو الأغراض المصلحية.

(١) أصول الكافي ٢ : ٢٠٣ / ١٨ ، باب إطعام المؤمن من كتاب الإيمان والكفر.

(٢) نهج البلاغة ، الكتاب ٤٥ .

ومن روائع القرآن تصويره البديع لحال الكافرين إذ يقولون في اليوم الآخر بعد أن يسألهم المؤمنين : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ \* قَالُوا لَمْ نَكُ مِنْ الْمُصَلِّينَ \* وَلَمْ نَكُ نُطْعَمُ الْمُسْكِينِ ﴾<sup>(١)</sup>.

ومن أدب الإسلام في الإطعام أن يبلغ الغاية في إشباع الجائع ، ويصيب الهدف المراد به إسعاف المحتاج إلى الطعام بما يُلي حاحته الفعلية منه ، فمن وصايا أمير المؤمنين عليه السلام : « إذا أطعمت فأشبع »<sup>(٢)</sup>. والإطعام المؤدي إلى الكفاية يستوجب الثواب ، عن الإمام الصادق عليه السلام : « من أطعم مسلماً حتى يشبعه لم يدر أحد من خلق الله ماله من الأجر في الآخرة ، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا الله رب العالمين ، ثم قال عليه السلام : من موجبات الجنة والغفرة إطعام الطعام السغبان... ثم تلا قول الله تعالى : ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾<sup>(٣)</sup>.

وهناك روايات تؤكد على أن إطعام الطعام يعود بفوائد تظهر آثارها ولو كان المطعم من أهل النار ، فهو على الأقل يسهم في تخفيف العذاب ، ومن الشواهد على ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « إن أهون أهل النار عبد الله بن جدعان ، فقيل له : ولم يا رسول الله ؟ قال : إنه كان يطعم الطعام »<sup>(٤)</sup>.

وعموماً فإن إطعام الطعام هو أحد المنجيات ، قال الصادق عليه السلام :

(١) سورة المدثر : ٧٤ / ٤٢ — ٤٤ .

(٢) عيون الحكم والمواعظ : ١٣٤ .

(٣) المحاسن / البرقي ٢ : ٣٨٩ / ١٧ . والآية من سورة البلد : ٩٠ / ١٤ .

(٤) المحاسن ٢ : ٣٨٩ / ٢١ .

« المنجيات إطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، والصّلاة بالليل والناس نيام » <sup>(١)</sup>.

ثم إن الإطعام له معطيات حميدة على المطعم ، إذ يسهم في زيادة الرزق ، فعن الرسول صلى الله عليه وآله : « الرزق أسرع إلى من يُطعم الطعام من السكين في السنام » <sup>(٢)</sup>. وبالمقابل هناك عواقب غير حميدة سوف يواجه تبعاتها كل من يطمس رأسه في رمال اللامبالاة تجاه إخوانه المؤمنين ، وخاصة أولئك الذين يصابون بالتخمة بينما المحيطون بهم يبيتون وبطونهم خاوية ، وفي هذا الخصوص قال الإمام زين العابدين عليه السلام محذراً : « من بات شبعاناً ومحضرتة مؤمن طاوٍ ، قال الله تعالى : ملائكتي ! أشهدكم على هذا العبد آتي أمرته فعصاني وأطاع غيري فوكلته إلى عمله ، وعزّتي وجلالي لا غفرت له أبداً » <sup>(٣)</sup>.

وكان هذا الإمام العظيم يخرج في الليلة الظلماء ويحمل الطعام أو الحطب على ظهره حتّى يأتي باباً باباً فيقرع ثمّ يناول من يخرج إليه ، وكان يغطي وجهه إذا ناول فقيراً لئلا يعرفه ، فلمّا توفي فقدوا ذلك ، فعلموا أنّه كان عليّ بين الحسين عليه السلام <sup>(٤)</sup>.

عن سفيان بن عيينة قال : رأى الزّهري علي بن الحسين عليه السلام في ليلة

(١) الكافي ٤ : ٥١ / ٥ باب فضل إطعام الطعام من كتاب الزكاة.

(٢) الكافي ٤ : ٥١ / ١٠ من نفس الباب.

(٣) المحاسن ١ : ٩٨ / ٢٦.

(٤) الخصال / الشيخ الصدوق : ٥١٧ / ٤.



باردة مطيرة وعلى ظهره دقيق وحطب وهو يمشي ، فقال له : يا ابن رسول الله ، ما هذا ؟ قال : « أريد سفراً أعدّ له زاداً أحمله إلى موضع حريز ، فقال الزّهري : فهذا غلامي يحمله عنك ، فأبى قال : أنا أحمله عنك ، فإني أرفعك عن حمله ، فقال عليّ بن الحسين : لكنني لا أرفع نفسي عمّا ينجيني في سفري ويجسن وردي على ما أرد عليه ، أسألك بحقّ الله لّما مضيت لحاجتك وتركتني ، فانصرف عنه ، فلمّا كان بعد أيّام قال له : يا ابن رسول الله ، لست أرى لذلك السّفَر الذي ذكرته أثراً ، قال : بلى يا زهريّ ، ليس ما ظننت ، ولكنه الموت ، وله كنت أستعد ، إنّما الاستعداد للموت تجتّب الحرام وبذل النّدا والخير » (١).

وعن أبي حمزة الثّمالي عليه السلام أنّه سمع علي بن الحسين عليه السلام يقول لمولى له : لا يعبر على بابي سائل إلا أطعمتموه ، فإنّ اليوم يوم الجمعة ، قال : فقلت له : ليس كل من يسأل مستحقاً ، فقال : يا ثابت ، أخاف أن يكون بعض من يسألنا مستحقاً فلا نطعمه ونردّه ، فيترل بنا أهل البيت ما نزل بيعقوب وآله ، أطعموهم ، إن يعقوب كان يذبح كل يوم كبشاً ، فيتصد منه ويأكل هو وعياله منه ، وإن سائلاً مؤمناً صواماً محقاً له عند الله منزلة وكان مجتازاً غريباً مر على باب يعقوب عشية جمعة عند أوان إفطاره يهتف على بابه ، اطعموا السائل المجتاز الغريب الجائع من فضل طعامكم ، يهتف بذلك على بابه مراراً وهم يسمعون ، وقد جهلوا حقه ولم يصدّقوا قوله ، فلما يئس أن يطعموه ، وغشيه الليل استرجع واستعبر

(١) علل الشرائع ١ : ٢٣١ باب ١٦٥ .

وشكا جوعه إلى الله عزّ وجل ، وبات طاوياً وأصبح صائماً جائعاً صابراً حامداً لله ، وبات يعقوب وآل يعقوب شباعاً بطاناً ، وأصبحوا وعندهم فضلة من طعام ، قال : فأوحى الله عزّ وجل إلى يعقوب : في صبيحة تلك الليلة : لقد أذلت يا يعقوب عبدي ذلة استجرت بها غضبي ، واستوجبت بها أدبي ، ونزول عقوبتي ، وبلوأي عليك وعلى ولدك » <sup>(١)</sup>.

وعن بعض أصحابنا قال : لما وضع علي بن الحسين عليهما السلام على السرير ليُغسل نظره إلى ظهره وعليه مثل ركب الإبل ممّا كان يحمل على ظهره إلى منازل الفقراء والمساكين <sup>(٢)</sup>.

وكان أئمة أهل البيت : يحرصون على أداء صدقة السرّ ، فيحملون الأطعمة في الليالي المظلمة للناس ، ضارين بذلك أروع أمثلة التكافل ، وكان الناس سرعان ما يكتشفون أن الرجال الذين يوزعون عليهم الأطعمة والمعونات في الخفاء هم أهل البيت :.. هيهات تكتم في الظلام مشاعل. فعلى سبيل الاستشهاد كان الإمام السجاد عليه السلام يعول مائة بيت من فقراء المدينة ، وكان يعجبه أن يحضر طعامه اليتامى والأضرّاء والزمنى والمساكين الذين لا حيلة لهم ، وكان يناولهم بيده ، ومن كان له منهم عيال حمله إلى عياله من طعامه ، وكان لا يأكل طعاماً حتى يبدأ فيتصدق بمثله <sup>(٣)</sup>.

وهناك شهود عدول يروون لنا بأمانة مشاهداً تم عن سلوك أهل

(١) علل الشرائع ١ : ٤٦ / ١ باب ٤١ .

(٢) علل الشرائع ١ : ٢٣١ / ٦ باب ١٦٥ .

(٣) الخصال / الصدوق : ٥١٨ / ٤ أبواب العشرين وما فوقه .

البيت : التكافلي ، ومن هؤلاء الشهود ( المعلّى بن خنيس ) يقول : « إن الإمام الصادق عليه السلام خرج ومعه جراب من خبز ، فأتينا ظلّة بني ساعدة فإذا نحن بقوم نيام ، فجعل يدسّ الرغيف والرغيفين حتّى أتى على آخرهم ثمّ انصرفنا ، فقلت : جعلت فداك يعرف هؤلاء الحقّ ؟ فقال : لو عرفوه لواسيناهم بالدّقة ! والدّقة هي الملح » <sup>(١)</sup>.

فالإمام هنا يتكفل الناس بالخبز كطعام أساسي ، ولا يفرق بين من يعرف حق آل محمد صلّى الله عليه وآله ومن لا يعرفه في منهجه التكافلي ، وخاصة في الأطعمة التي لا بد منها. نعم ورد عنه عليه السلام قوله : « ولا تطعم من نصب لشيء من الحق ، أو دعا إلى شيء من الباطل » <sup>(٢)</sup>.

وهناك شهادة قيمة عن المنحى التكافلي للإمام الثامن علي بن موسى الرضا عليه السلام يرويها عنه أحد أصحابه ، وهو ( معمر بن خلّاد ) ، قال : كان أبو الحسن الرضا عليه السلام إذا أكل أتي بصحفة فتوضع بقرب مائدته ، فيعمد إلى أطيب الطعام ممّا يؤتى به ، فيأخذ من كلّ شيء شيئاً ، فيضع في تلك الصحفة ثمّ يأمر بها إلى المساكين. ثمّ يتلو هذه الآية : ﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴾ <sup>(٣)</sup> ، ثم يقول عليه السلام : « علم الله عزّ وجلّ أنّه ليس كل إنسان يقدر على عتق رقبة ، فجعل لهم السبيل إلى الجنة باطعام الطعام » <sup>(٤)</sup>.

(١) الكافي ٤ : ٨ — ٩ / ٣ ، باب صدقة الليل من كتاب الزكاة.

(٢) الكافي ٤ : ١٣ / ١ ، باب الصدقة على من لا تعرفه من كتاب الزكاة.

(٣) سورة البلد : ٩٠ / ١١ .

(٤) المحاسن / البرقي ٢ : ٣٨٩ / ٢٠ ، باب الإطعام.

وكان والده الإمام الكاظم عليه السلام أوصل الناس لأهله ورحمه ، وكان يتفقد فقراء المدينة في الليل ، فيحمل إليهم فيه العين والورق والدقيق والتمور ، فيوصل إليهم ذلك ولا يعلمون من أي جهة هو <sup>(١)</sup>.

لقد اقتدى أهل البيت : برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكان لهم به أسوة حسنة ، ومما عُرف عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه : « ما شبع ثلاثة أيام متواليه حتى فارق الدنيا ، ولو شاء لشبع ، ولكنه كان يؤثر على نفسه » <sup>(٢)</sup>.

### ثالثا \_ الكساء :

وهو أمر لا بد منه لستر عورة الإنسان وصون كرامته وإنسانيته ، لذلك أسهت مدرسة أهل البيت : في تبيان الثواب الأخروي الذي ينتظر من يسهم في سد حاجة المعوزين من الكساء ليقبهم قوارص زمهرير الشتاء ، أو ليظلمهم من لوافح هجير الصيف اللاهب. وفي هذا يقول الإمام الصادق عليه السلام : « من كسا أخاه كسوة شتاء أو صيف ، كان حقا على الله أن يكسوه من ثياب الجنة ، وأن يهون عليه سكرات الموت ، وأن يوسع عليه في قبره ، وأن يلقى الملائكة إذا خرج من قبره بالبشرى » <sup>(٣)</sup>.

وعنه عليه السلام : « من كسا أخاه المؤمن من عري كساه الله من سندس الجنة واستبرقها وحريرها ، ولم يزل يخوض في رضوان الله ما دام على

(١) الإرشاد ٢ : ٢٣١.

(٢) مجموعة ورّام ١ : ١٧٢ ، باب الإتيار.

(٣) اصول الكافي ٢ : ٢٠٤ / ١ باب من كسا مؤمنا من كتاب الإيمان والكفر.

المكسوّ منه سلك» <sup>(١)</sup>.

وعنه عليه السلام في حديث آخر : « من كسا مؤمناً ثوباً من عري كساه الله من إستر بق الجنة ، ومن كسا مؤمناً ثوباً من غنى لم يزل في سترٍ من الله ما بقي من الثوب خرقة » <sup>(٢)</sup>.

فهذه الأحاديث المختلفة الألفاظ والمتفقة في المضمون ، تكشف عن أن مسألة توفير الكساء هي بمثابة القطب من الرحى في توجهات أهل البيت : الاجتماعية.

وحول هذه الفقرة بالذات كانت لأمر المؤمنين عليهم السلام مواقف من الإتيار رائعة ، فهو يرقع مدرعته حتى يستحيي من راقعها ، وكان بإمكانه أن يلبس أفخر الملابس ، ولكنه لم يفعل حرصاً على التكافل مع فقراء المسلمين والتأسي بهم.

عن الإمام الصادق عليه السلام : « خطب علي عليه السلام الناس وعليه إزار كرباس غليظ مرقوع بصوف ، فقيل له في ذلك ، فقال : يخشع القلب ، ويقتدي به المؤمن » <sup>(٣)</sup>.

وكان عليه السلام يقتدي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان يأكل على الأرض ، ويجلس جلسة العبد ، ويخصف بيده نعله ، ويرقع بيده ثوبه <sup>(٤)</sup>.

(١) ثواب الأعمال : ١٤٦.

(٢) اصول الكافي : ٢ / ٢٠٥ / ٥ ، باب من كسا مؤمناً من كتاب الإيمان والكفر.

(٣) مكارم الأخلاق / الطبرسي : ١١٣.

(٤) انظر : نهج البلاغة / صبحي الصالح : ٢٢٨ ، الخطبة ١٦٠.

وكان عليه السلام يؤثر غيره على نفسه في اللباس ، ففي خبر طويل عن الأصمغ ابن نباتة أنه اشترى ثوبان ؛ ثوب بأربعة دراهم ، وثوب بثلاثة دراهم ، وقال لغلامه قنبر : اختر فاختار الذي بأربعة ، ولبس هو الذي بثلاثة <sup>(١)</sup>.

كل ذلك لأنه يؤثر على نفسه ، ويفضل مصلحة غيره على مصلحته ، وكان حفيده الإمام علي بن الحسين عليهما السلام إذا انقضى الشتاء تصدق بكسوته في الشتاء. وإذا انقضى الصيف تصدق بكسوته في الصيف. وكان يلبس من خير الثياب. فقيل له : تعطيتها من لا يعرف قيمتها ولا يليق به لباسها ، فلو بعته وتصدقت بتمنها ؟ فقال عليه السلام : « إني أكره أن أبيع ثوباً صليت فيه » <sup>(٢)</sup>.

والأئمة : عموماً كانوا يبحثون شيعتهم على تحقيق أعلى درجة من التعاون والإيثار في هذا الشأن ، قال الإمام الباقر عليه السلام لأحد أصحابه : « يا إسماعيل ، رأيت فيما قبلكم إذا كان الرجل ليس له رداء وعند بعض إخوانه فضل رداء يطرحه عليه حتى يصيب رداءً ؟ فقلت : لا ، قال : فإذا كان له إزار يرسل إلى بعض إخوانه بإزاره حتى يصيب إزاراً ، فقلت : لا ، فضرب بيده على فخذه ثم قال : ما هؤلاء ياخوة » <sup>(٣)</sup>.

وهكذا نجد مسألة توفير الكساء تتصدر سلم الأولوية أيضاً كحاجة أساسية ينبغي تأمينها للمحتاجين.

(١) روضة الواعظين / ابن الفثال : ١٠٧ مجلس في ذكر الإمامة وامامة علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٢٩٤.

(٣) كتاب المؤمن / الحسين بن سعيد : ٤٥ ، نشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام.

## رابعاً - السكن :

يريد الإسلام من المسلم أن ينطلق في جميع الآفاق التكافلية ، فلا يقتصر على تأمين الماء والطعام والكساء للفقراء ، بل عليه أن يوسع أفق التكافل ليشمل المأوى أو المسكن ، وهو حاجة ماسة تزداد أهميتها مع تعقد الحياة ونشوء المدن الكبرى. وقد استشرف الإسلام أفق الغيب ، وأدرك أن الإنسان قد يواجه أزمة السكن في يوم ما. وهو ما حصل بالفعل ، فحالياً تعاني المدن الإسلامية الكبرى من أزمة خانقة في السكن ، فمن الضرورة بمكان أن نشيع روح التعاون للتقليل من مضاعفات هذه الأزمة.

وقد وردت في الروايات تحذيرات لكل من يقصّر في هذا المجال ، عن الإمام الصادق عليه السلام « من كان له دار واحتاج مؤمناً إلى سكنها فمنعه إيّاها قال الله عزّ وجلّ : ملائكتي ، عبدي بخل على عبدي بسكنى الدنيا ، وعزّي لا يسكن جناني أبداً » <sup>(١)</sup>.

ومما يؤسف له أن هناك قصوراً أو تقصيراً في مسألة توفير المأوى أو المسكن للمحتاجين ، سيّما من يريد الدخول في عش الزوجية ، ليصون نفسه ويقيها من الوقوع في مهاوي الفساد وليستن بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله الداعية إلى النكاح والزواج وتأسيس الأسرة.

وتزداد الحاجة أيضاً لبناء أماكن إيواء واستراحة للمسافرين ، والبعض قد يجهل ثواب التكافل في هذا المجال ، أو يرى فيه جهداً ضائعاً من قبيل الحرث في البحر ، ولكن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يرشدنا إلى الثواب الكبير لمن

(١) ثواب الأعمال : ٢٤١ ، المحاسن ١ : ١٠١ / ٣٦ .

يقوم بهذا الأمر ، قائلاً : « من بنى على ظهر الطريق ما يأوى عابر سبيل ، بعثه الله يوم القيامة على نحيب من درّ » <sup>(١)</sup>.

فمن الضروري أن يهتم المرشدون والواعظون بثقافة التكافل في مجال السكن وتوفير المأوى لمن يلتحفون السماء بدون سقف يقيهم المطر والبرد والحر ، فالثواب لا يقتصر على بناء المساجد ، أو المدارس ، بل يشمل أيضاً بناء المساكن لذوي الخصاصة وتوفير المأوى لعابري السبيل.

إن دعوة الإسلام للتكافل مع الفقراء والمساكين وتوفير الماء والطعام واللباس والسكن المناسب لهم ، تنهض دليلاً على سبقه بمئات السنين لوثيقة حقوق الإنسان العالمية التي وافقت عليها هيئة الأمم المتحدة عام ١٩٤٨ م ، وجاء في المادة (٢٥) من هذه الوثيقة : « ان لكل فرد الحق في أن يعيش في مستوى يكفل له ولا سرته الصحة والرفاهية ، وبصفة خاصة يضمن له الغذاء والكساء والسكن والرعاية الطبية والخدمات الاجتماعية الضرورية ، وله الحق في الضمان في حال مرضه ، وعجزه ، وترمله ، وشيخوخته ، وفي الحالات الأخرى التي يفقد فيها وسائل معيشته لأسباب خارجة عن إرادته » <sup>(٢)</sup>.

### خامساً — المال :

وهو من الحاجات الأساسية التي بدونها لا يستطيع الإنسان أن ينفق

(١) عوالي اللآلي / ابن أبي جمهور الإحسائي ١ : ٣٦٥ ، ط ١ — ١٤٠٣ هـ.

(٢) حقوق الإنسان / د. محمود شريف بسيوني : ٢١ ، المجلد الأول — الوثائق العالمية والإقليمية ، دار العلم للملايين ، ط ١ — ١٩٨٨ م.



على نفسه وعياله. وعلى ذوي المكنة والغنى وظيفة اجتماعية تتمثل بمساعدة السائلين والمحرومين. وقد أطلق القرآن الكريم على هذا الإنفاق صفة الحقّ ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ \* لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾<sup>(١)</sup>.

ويظهر من الرواية التالية أن هذا الحق له وظيفة تكافلية ، فليس هو من الزكاة والصدقات المفروضة ، بل هو أمر تبرعي يقدم عليه المحسن طوعاً لأجل إشاعة مبدأ التعاون ومواساة المعوزين.

عن القاسم بن عبدالرحمن الأنصاري قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : « إن رجلاً جاء إلى أبي علي بن الحسين عليه السلام فقال له : أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ \* لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ ما هذا الحقّ المعلوم ؟ فقال له علي بن الحسين عليه السلام : الحقّ المعلوم الشيء يخرج منه من ماله ليس من الزكاة ولا من الصدقة المفروضتين. قال : فإذا لم يكن من الزكاة ولا من الصدقة ، فما هو ؟ فقال : هو الشيء يخرج منه الرجل من ماله إن شاء أكثر ، وإن شاء أقلّ ، على قدر ما يملك ، فقال له الرجل : فما يصنع به ؟ فقال : يصل به رحماً ، ويقوي به ضعيفاً ، ويحمل به كلاً ، أو يصل به أخاً له في الله ، أو لنائبة تنوبه ، فقال الرجل : الله أعلم حيث يجعل رسالته »<sup>(٢)</sup>.

وعن سماعة ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « الحقّ المعلوم ليس من الزكاة ،

(١) سورة المعارج : ٧٠ / ٢٤ - ٢٥.

(٢) الكافي ٣ : ٥٠٠ / ١١.

هو الشيء تخرجه من مالك إن شئت كل جمعة ، وإن شئت كل شهر ، ولكل ذي فضل فضله ، وقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> فليس هو من الزكاة ، والماعون ليس من الزكاة ، هو المعروف تصنعه ، والقرض تقرضه ومتاع البيت تعيره ، وصلة قرابتك ليس من الزكاة ، وقال الله عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾ فالحق المعلوم غير الزكاة ، وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه ، يجب أن يفرضه على قدر طاقته ووسعه » <sup>(٢)</sup> .

والإسلام يحث على أن يكون إنفاق المال لغاية سامية أطلق عليها القرآن (سبيل الله ) ، فمثل هذا الإنفاق يباركه الله تعالى لكونه يخدم مبدأ التكافل ، من خلال تقديم العون والمساعدة للآخرين بنية خالصة ، وبشرط أن لا يصاحب مثل هذا الإنفاق المن أو الأذى ، قال عز من قائل : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ \* الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> . وعليه فالله تعالى يعتبر المال أمانة في يد حامله ، وعليه أن يحسن التصرف بها ، وأن ينفقها في سبيله ، وليس من أجل الرياء أو السمعة الفارغة ، لذلك يعتبر الذي ينفق أمواله من أجل الرياء من

(١) سورة البقرة : ٢ / ٢٧١ .

(٢) من لا يحضره الفقيه ٢ : ٤٨ / ١٦٦٦ .

(٣) سورة البقرة : ٢ / ٢٦١ — ٢٦٢ .

قراءة الشيطان ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ <sup>(١)</sup>.

ولم يأل أئمة أهل البيت : جهداً من أجل توعية شيعتهم على إدراك وظيفة المال الاجتماعية ، ورسالته التكافلية ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : « فمن آتاه الله مالاً فليصل به القرابة ، وليحسن منه الضيافة ، وليفك به الأسير والعاني ، وليعط منه الفقير والغارم » <sup>(٢)</sup> ، وعنه عليه السلام : « أفضل المال ما قضيت به الحقوق » <sup>(٣)</sup>.

ولم تكن وصايا أمير المؤمنين عليه السلام مجرد كلمات تطلق في الفضاء كحال المنظرين ، بل كانت تترجم إلى سلوك سويّ ، شهد عليها التاريخ وسجلها النقات ، قال أبو صالح السمان : « رأيت علياً دخل بيت المال فرأى فيه مالاً ، فقال : هذا ها هنا والناس يحتاجون ! فأمر به فقسّم بين الناس وأمر بالبيت فكنس فنضح وصلّى فيه » <sup>(٤)</sup>.

وعن هارون بن مسلم البجلي عن أبيه قال : « أعطى علي عليه السلام الناس في عام واحد ثلاث أعطيات ثم قدم عليه خراج أصفهان فقال : أيها الناس ، اغدوا فخذوا ما أنا لكم بخازن ، ثم أمر ببيت المال فكنس ونضح ، فصلّى

(١) سورة النساء : ٤ / ٣٨ .

(٢) تصنيف نهج البلاغة / لبيب بيضون : ٦٤٨ .

(٣) عيون الحكم والمواعظ : ١٢٢ .

(٤) انساب الأشراف / البلاذري : ١٣٣ ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، والدعوات / الراوندي : ٦٠ ، مدرسة الإمام المهدي عليه السلام ، ط ١ - ١٤٠٧ هـ ق .

فيه ركعتين ثم قال : يا دنيا غري غيري ... » <sup>(١)</sup>.

كان ( سلام الله عليه ) يعتبر المال أمانة بيده ، فيحرص أشد الحرص على إيصاله إلى مستحقه ، وتقسيمه بالسوية فيما بينهم ، ولما بويع بالخلافة ، صعد المنبر في اليوم الثاني من البيعة ، وهو يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقين من ذي الحجة ، فقال : « فأنتم عباد الله ، والمال مال الله ، يقسم بينكم بالسوية ، لا فضل فيه لأحد على أحد ، وللمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء وأفضل الثواب » <sup>(٢)</sup>.

ومن كتاب له عليه السلام إلى قثم بن العباس ، وهو عامله على مكة : « وانظر إلى ما اجتمع عندك من مال الله فاصرفه إلى من قبلك من ذوي العيال والجماعة ، مصيباً به مواضع الفاقة والحالات ، وما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قبلنا » <sup>(٣)</sup>.

وكان عليه السلام يقول لمن أراد منه العودة إلى سنة عمر في التمييز بين الناس في العطاء !! : « لو كان المال لي لسويت بينهم ، فكيف وإنما المال مال الله » <sup>(٤)</sup>.

وقام عليه السلام خطيباً بالمدينة حين رجعت إليه خلافته ، بعد أن حمد الله وأثنى عليه : « إني والله لا أرزؤكم من فينكم درهما ما قام لي عذق ييشرب ،

(١) الغارات / إبراهيم بن محمد الثقفي ١ : ٨٣ ، مطبعة بمن — إيران ، ونحوه في شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ٢ : ١٩٨ ، دار إحياء الكتب العربية.

(٢) شرح نهج البلاغة / ابن أبي الحديد ٧ : ٣٧.

(٣) نهج البلاغة ، كتاب ٦٧.

(٤) نهج البلاغة / الخطبة ١٢٦.

فليصدقكم أنفسكم ، أفتروني مانعاً نفسي ومعطيكم ؟! فقام إليه عقيـل ( كرم الله وجهه ) فقال له : والله لتجعلني وأسود بالمدينة سواءً ؟! فقال له : أجلس ، أما كان ها هنا أحد يتكلم غيرك ؟ وما فضلك عليه إلا بسابقة أو بتقوى !! «<sup>(١)</sup> .

وعن ابن دأب قال : ولّى أمير المؤمنين عليه السلام بيت مال المدينة عمّار بن ياسر وأبا الهيثم بن التيهان ، فكتب : « العربي والقرشي والأنصاري والعجمي وكل من كان في الإسلام من قبائل العرب وأجناس العجم سواء فاتاه سهل بن حنيف بمولى له أسود فقال : كم تعطي هذا ؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : كم أخذت أنت ؟ قال : ثلاثة دنانير وكذلك أخذ الناس ، قال : فأعطوا مولاها مثل ما أخذ ثلاثة دنانير »<sup>(٢)</sup> .

وروى أبو إسحاق الهمداني أن امرأتين أتتا علياً عليه السلام ، إحداهما من العرب ، والأخرى من الموالي ، فسألته فدفع إليهما دراهم وطعاماً بالسواء ، فقالت إحداهما : إنني امرأة من العرب وهذه من العجم ، فقال علي عليه السلام : « والله لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً على بني إسحاق »<sup>(٣)</sup> .

وعموماً فقد كان أئمة أهل البيت : يحثون أتباعهم على بذل الأموال سواءً المفروض منها أو المستحب ، ويكشفون لهم الحكمة من وراء ذلك ، والفائدة المرجوة ، قال الإمام الصادق عليه السلام لعمّار الساباطي : « يا عمّار أنت ربّ

(١) روضة الكافي ٨ : ١٨٢ / ٢٠٤ .

(٢) الاختصاص / الشيخ المفيد : ١٥٢ ، طبع جماعة المدرسين في الحوزة العلمية .

(٣) شرح منج البلاغة / ابن أبي الحديد ٢ : ٢٠٠ ، دار إحياء الكتب العربية .

مال كثير ، قال : نعم جعلت فداك ، قال : فتؤدي ما افترض الله عليك من الزكاة، فقال : نعم ، قال : فتصل قرابتك ؟ قال : نعم ، قال : فتصل إخوانك ؟ قال : نعم ، قال عليه السلام : يا عمّار ، إن المال يفنى ، والبدن يبلى ، والعمل يبقى ، والديان حي لا يموت. يا عمّار ، أما أنه ما قدمت فلن يسبقك ، وما أخرت فلن يلحقك » <sup>(١)</sup>.

ولما كان البخل والشح يكبحان طريق الإنفاق ، عمّل أهل البيت : على التسامي بنفوس أتباع مدرستهم وحثهم على قلع جذور البخل من خلال التكافل ، لكي ينجحوا في الابتلاء ويجتازوا الامتحان.  
عن جميل بن درّاج ، عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : « ما بلى الله العباد بشيء أشدّ عليهم من إخراج الدرّاهم » <sup>(٢)</sup>.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يشنع أشدّ التشنيع بالشحّ ، ويعتبر الشحّ أقبح من الظلم ، يروى أنه عليه السلام سمع رجلاً يقول : إنّ الشحّ أعذر من الظالم ، فقال له : « كذبت ، إنّ الظالم قد يتوب ويستغفر ويردّ الظلامة إلى أهلها ، والشحّ إذا شحّ منع الزكاة والصّدقة وصلة الرّحم وقري الضّيف والنفقة في سبيل الله ، وأبواب الخير ، وحرام على الجنّة أن يدخلها شحّ » <sup>(٣)</sup>.

(١) الكافي ٣ : ٥٠١ / ١٥ باب فرض الزكاة وما يجب في المال من الحقوق ، من كتاب الزكاة.

(٢) الخصال / الشيخ الصدوق : ٨٠.

(٣) الكافي ٤ : ٤٤ / ١ باب البخل والشحّ ، من كتاب الزكاة.

## المبحث الثاني :

### سبل تأمين متطلبات التكافل

هناك مجموعة من السبل تصب في مجرى التكافل ، ومن خلالها يؤمن القسم الأكبر من الموارد التي تُصَرَّف على الفقراء والمحتاجين ، ومن أبرز هذه السبل ، ما يلي :

#### أولاً — الزكاة :

وهي من أهم العبادات المالية في الإسلام ، وقد أكد عليها القرآن في أكثر من سورة ، وأشاد بها في عشرات الآيات. وهي فريضة قديمة ، فرضت على الأنبياء قبل نبينا ﷺ ، وأوصى بها الله تعالى لوط وذريته وإسحاق ويعقوب ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ (١).

وكانت — كذلك — وصية الله تعالى لعيسى عليه السلام ، كما في قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام : ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا

---

(١) سورة الأنبياء : ٢١ / ٧٣.

دُمْتُ حَيًّا ﴿١﴾ .

كما أمر أهل الكتاب بأداء الزكاة ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ (٢) .

وسيقى الأمر بها سارياً وأبدياً حتى يُمكن الله تعالى في الأرض عباده الصالحين الذين يحملون الأمانة عند خروج الحجة المنتظر عليه السلام ، الذي يقيم أسباب العدل ويلتمس الخلاص لملايين الجياع والمحرومين في العالم ، ولا يتم ذلك إلا بإقامة الزكاة على وجهها الصحيح ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ (٣) .

وغني عن القول أن الزكاة هي أوسع أبواب الخير ، وقد احتفظت بمقام الصدارة كسبيل من أكبر سبل التكافل التي تستدعي الثواب والأجر الكبير ، قال تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (٤) . وقال تعالى : ﴿ ... وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٥) .

(١) سورة مريم : ٣١ / ١٩ .

(٢) سورة البينة : ٩٨ / ٥ .

(٣) سورة الحج : ٢٢ / ٤١ .

(٤) سورة البقرة : ٢ / ١١٠ .

(٥) سورة النساء : ٤ / ١٦٢ .



وقد فرض الله تعالى الزكاة لحكمة عظيمة ، وغاية سامية تتعلق بمواساة الفقراء ، وإسعاف ذوي الحاجات ، وتقوية أواصر المودة بين الأغنياء والفقراء ، والتقريب بين طبقات وفئات المجتمع ، ومعالجة أخطار الفقر الذي يعتبر أخطر شيء يهدد كيان الأمة ، ثم إنّ الزكاة تطهر نفوس الأغنياء من الشح والبخل ، قال تعالى : ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا... ﴾ (١).

وفي المقابل تقلع من نفوس الفقراء البغضاء ، والحقد ، والكرهية ضد الأغنياء. وفي هذا الصدد يُسلط أئمة آل البيت : الأضواء على وجه الزكاة وحكمتها ، ويكشفوا لنا عن علل عميقة بخصوصها ، قال الإمام الصادق عليه السلام : « إنّما وضعت الزكاة اختباراً للأغنياء ومعونة للفقراء ، ولو أنّ الناس أدوا زكاة أموالهم ما بقي مسلم فقيراً محتاجاً ، ولا استغنى بما فرض الله عز وجلّ له ، وإنّ الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا ولا عروا إلا بذنوب الأغنياء » (٢).

وعن الإمام الكاظم عليه السلام : « إنّما وضعت الزكاة قوتا للفقراء ، وتوفيراً لأموال الأغنياء » (٣).

وقد حدّدت الشريعة موارد معيّنة لصرف أموال الزكاة ، منها : « الفقراء والمساكين ، والمراد بالفقير من لا يملك قوت سنته لنفسه وعائلته بالفعل أو

(١) سورة التوبة : ٩ / ١٠٣.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٢ : ٧ / ١٥٧٩.

(٣) علل الشرائع ٢ : ٣٦٨ / ١ ، المكتبة الحيدرية ، ١٣٨٦ هـ.

بالقوة... والمسكين أسوأ حالاً من الفقير ، فهو لا يملك قوته اليومي. والغارم : وهو من عليه دين وعجز عن أدائه ، جاز أداء دينه من الزكاة ، وإن كان متمكناً من إغاثة نفسه وعائلته سنة كاملة بالفعل أو بالقوة.

كما تصرف الزكاة في سبيل الله : ويقصد به المصالح العامة للمسلمين كتعبيد الطرق وبناء الجسور والمستشفيات وملاجئ الفقراء والمساجد والمدارس الدينية ونشر الكتب الإسلامية المفيدة وغير ذلك مما يحتاج إليه المسلمون.

ويجوز اعطاء الفقير الزكاة من دون إعلام حاله ، ويجوز اعطاء الزكاة لمن يدعي الفقر إذا علم فقره سابقاً ولم يعلم غناه بعد ذلك. ومن كان له على الفقير دين جاز له أن يحتسبه زكاة. والأولى أن لا يعطى للفقير من الزكاة أقل من خمسة دراهم عينا أو قيمة. ولا بأس باعطائه الزائد ، بل يجوز أن يعطى ما يفى بمؤنته ومؤونة عائلته سنة واحدة» (١).

وقد أتبع آل البيت : أسلوب الحوار الإقناعي لحمل أصحابهم على إعطاء الزكاة ، فكشفوا عن المعطيات الإيجابية التي تنعكس على دافعيتها كزيادة الرزق كما في حديث الإمام الباقر عليه السلام : « .. الزكاة تزيد في الرزق » (٢).

(١) انظر : المسائل المنتخبة : ٢٢٧ — ٢٣٢ ، المسائل : ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٧ ، ٥٥٢ ، ٥٦١ ، ط ٣ — ١٤١٤ هـ ، مطبعة مهر — قم.

(٢) الأمالي / الشيخ الطوسي : ٢٩٦ المجلس الحادي عشر.

وبالمقابل اتبعوا معهم أسلوب التحذير من العواقب المترتبة على التهوين من شأنها ، وعدم اعطائها لمستحقيها ، عن الإمام الصادق عليه السلام : « من منع قيراطاً من زكاة ماله ، فليس هو بمؤمن ولا مسلم ولا كرامة »<sup>(١)</sup>. ومن حديث له مع المفضل ، قال عليه السلام : « يا مفضل ، قل لأصحابك يضعون الزكاة في أهلها وإني ضامن لما ذهب لهم »<sup>(٢)</sup>.

وتبدو لنا النظرة العميقة للإمام الصادق عليه السلام من تقسيمه للزكاة إلى ظاهرة وباطنة ، لما سأله رجل : « في كم تجب الزكاة من المال ؟ قال عليه السلام : الزكاة الظاهرة أم الباطنة تريد ؟ قال : أريدهما جميعاً. فقال عليه السلام : أمّا الظاهرة ففي كل ألف خمسة وعشرون درهما ، وأمّا الباطنة فلا تستأثر على أخيك بما هو أحوج إليه منك »<sup>(٣)</sup>.

ومن الواضح أنّ الزكاة الباطنة تعبير آخر عن التكافل الاجتماعي بشئتي صورته ، وكذلك الحال في ( زكاة الجاه ) في حديث أمير المؤمنين عليه السلام قال : « إنّ الله فرض عليكم زكاة جاهكم ، كما فرض عليكم زكاة ما ملكت أيديكم »<sup>(٤)</sup>.

وقال الإمام الصادق عليه السلام : « المعروف زكاة النعم ، والشفاعة زكاة

(١) من لا يحضره الفقيه / الصدوق ٤ : ٣٦٧ ، طبع جماعة المدرسين ، ط ٢ — ١٤٠٤ هـ.

(٢) تحف العقول : ٥١٤.

(٣) معاني الأخبار / الصدوق : ١٥٣ ، انتشارات إسلامي.

(٤) مجمع البيان / الطبرسي ٣ : ١٨٩ تفسير الآية (١١٤) من سورة النساء.

الجاه» <sup>(١)</sup>.

وهذه الرؤية المتميزة للزكاة لم تكن نبأً بلا جذور ، بل هي في الأساس رؤية نبوية كما في قوله صلى الله عليه وآله : « الجاه أحد الرفدين » <sup>(٢)</sup>.

وفي هذا السياق قال الإمام الصادق عليه السلام : « يسأل المرء عن جاهه كما يسأل عن ماله ، يقول : جعلت لك جاهاً ، فهل نصرت به مظلوماً ، أو قمعت به ظالماً ، أو أغثت به مكروباً » <sup>(٣)</sup>.

وعنه عليه السلام : « من كان وصل لأخيه بشفاعة في دفع مغرم أو جرّ مغنم ، ثبت الله عزّ وجلّ قدميه يوم تزل فيه الأقدام » <sup>(٤)</sup>.

و « زكاة الفطرة » من موارد الزكاة التي ترفد الجهد التكافلي ، فعن الإمام الصادق عليه السلام : « إنّ من تمام الصوم إعطاء الزكاة » يعني الفطرة <sup>(٥)</sup>.

ومقدار زكاة الفطرة صاع من تمر أو زبيب أو شعير ، وهي وإن كانت قليلة المقدار والقيمة ظاهراً ، لكنّها تسهم في سد عوز الفقراء خصوصاً في أيام العيد.

وكان للزكاة الأثر البالغ في إعالة العوائل التي نكبت بموت أو فقد معيّلها ،

(١) تحف العقول : ٣٨١.

(٢) عوالي اللآلي ١ : ٢٩٣.

(٣) المصدر السابق ١ : ٣٦٣.

(٤) أمالي / الشيخ الطوسي : ٩٩ / ١٥١ ، المجلس الرابع.

(٥) المقنعة / الشيخ المفيد : ٢٦٤ ، جماعة المدرسين ، قم — ١٤١٠ هـ.

وفي هذا الخصوص يوصي الإمام الصادق عليه السلام أصحابه بأن يعطوا الزكاة للعيال الذين مات من يعولهم حتى مرحلة البلوغ وتأمين مصدر العيش المناسب لهم ، عن أبي بصير قال : « قلت لأبي عبد الله عليه السلام الرجل يموت ويترك العيال ، أيعطون من الزكاة ؟ قال : نعم حتى ينشأوا ويبلغوا ويسألوا من أين كانوا يعيشون إذا قطع ذلك عنهم » <sup>(١)</sup>.

لقد سعى أهل البيت : إلى إزالة الحواجز النفسية التي تمنع المحتاجين من الوصول إلى دافعي الزكاة وتحث المنفقين على المبادرة إلى التفتيش عن المستحقين لها ، وعدم تكليفهم مشقة الطلب ، صوناً لكرامتهم وحقناً لماء وجوههم ، وكان أهل البيت : يقدرون أهمية العامل النفسي عند المتلقي للزكاة فلا يكلفونه عناء الطلب وذل السؤال ، ومن الشواهد على هذا المنحى الحضاري ، ما روي عن إسحاق بن عمّار ، قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام « يا إسحاق كيف تصنع بزكاة مالك إذا حضرت ؟ قال : يأتوني إلى المنزل فأعطيهم ، فقال لي : ما أراك يا إسحاق إلا قد أذلت المؤمنين ، فأياك إياك ، إن الله تعالى يقول : من أذلّ لي ولياً فقد أَرُصد لي بالحاربة » <sup>(٢)</sup>.

وعن أبي بصير قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام : « الرجل من أصحابنا يستحيي أن يأخذ من الزكاة فأعطيه من الزكاة ولا أُسمي له أنها من الزكاة ،

(١) الكافي ٣ : ٥٤٨ / ١ باب أنه يعطى عيال المؤمن من الزكاة إذا كانوا صغاراً ،

ويُقضى عن المؤمنين الديون من الزكاة ، من كتاب الزكاة.

(٢) المحاسن / البرقي ١ : ١٣٦ / ١٩ ، مشكاة الأنوار / الطبرسي : ٢٥٣.

فقال : أعطه ولا تسم له ولا تذلل المؤمن <sup>(١)</sup> .

وكان الإمام الصادق عليه السلام يبحث على الأخذ بنظر الاعتبار مكانة وحيثية الفقراء حين اعطائهم الزكاة ، فزكاة الأنعام من المناسب أن تعطى لذوي التجمل منهم والاحتشام ، وزكاة النقدين تعطى لذوي الحاجة والفاقة .

عن عبدالكريم بن عتبة الهاشمي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « تُعطى صدقة الأنعام لذوي التجمل من الفقراء ، لأنها أرفع من صدقات الأموال ، وإن كان جميعهما صدقة وزكاة ، ولكن أهل التجمل يستحيون أن يأخذوا صدقات الأموال » <sup>(٢)</sup> . وفي رواية أخرى عن عبدالله بن سنان قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : « إنَّ صدقة الخفّ والظلف تدفع إلى المتجملين من المسلمين ، أمّا صدقة الذهب والفضة وما كيل بالقفيز ممّا أخرجت الأرض للفقراء المدقعين ، قال ابن سنان : قلت : وكيف صار هذا هكذا ؟ فقال : لأنّ هؤلاء متجملون يستحيون من الناس فتدفع إليهم أجمل الأمرين عند الناس ، وكلُّ صدقة » <sup>(٣)</sup> .

ومن الشواهد ذات الدلالة على حرص أئمة أهل البيت : على كرامة المحتاجين ، وتعجيل دفع الحقوق لهم ، عن عقبه بن خالد ، عن أبي عبدالله عليه السلام « أن عثمان بن عمران قال له : إني رجل موسر... ويجيئي الرجل فيسألني الشيء وليس هو إبان زكاتي ، فقال له أبو عبدالله عليه السلام : القرض عندنا بشمانية

(١) الكافي ٣ : ٥٦٤ / ٣ باب من تحل له الزكاة فيمتنع من أخذها ، من كتاب الزكاة .

(٢) المنقعة / الشيخ المفيد : ٢٦٠ ، جماعة المدرسين — قم ١٤١٠ هـ .

(٣) علل الشرائع ٢ : ٣٧١ ، باب ٩٦ .

عشر ، والصدقة بعشرة ، وماذا عليك إذا كنت كما تقول موسراً أعطيته ، فإذا كان إبان زكاتك احتسبت بها من الزكاة. يا عثمان ، لا ترده فإن رده عند الله عظيم. يا عثمان ، إنك لو علمت ما مثلتة المؤمن من ربه ما توانيت في حاجته » (١).

أما الخمس : فهو من الفرائض المؤكدة المنصوص عليها في القرآن الكريم وقد ورد الإهتمام بشأنه في كثير من الروايات المأثورة عن أهل بيت العصمة ( سلام الله عليهم ) ، وفي بعضها اللعن على من يمتنع عن أدائه وعلى من يأكله بغير استحقاق. ولكن وظيفة الخمس التكافلية تنحصر في كفالة الأيتام والفقراء من الهاشميين والمساكين وأبناء السبيل منهم ، ويسمى ( سهم السادة ) ، إذ يقسم الخمس نصفين ، نصف للإمام عليه السلام خاصة ، ويسمى « سهم الإمام » ونصف للأيتام والفقراء والمعوزين من الهاشميين. ويراد بالهاشمي : من ينتسب إلى هاشم جد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم من جهة الأب ، وينبغي تقديم الفاطميين على غيرهم (٢).

### ثانياً — الصدقة :

ونريد بها الجانب الترععي الذي يدفعه المسلم طوعاً للفقراء والمحتاجين. ولا نريد من الصدقة — هنا — الشيء المفروض ، أي الزكاة ، إذ تطلق الصدقات — أحياناً — على الزكاة ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ

(١) الكافي ٤ : ٣٤ / ٤ باب القرض من كتاب الزكاة.

(٢) انظر : المسائل المنتخبة / السيد السيستاني : ٢٣٩ — ٢٤٨.

وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا ... ﴿١﴾ .

والإمام الصادق عليه السلام كان قد أشار إلى ذلك بقوله : « ولكن الله عز وجل فرض في أموال الأغنياء حقوقاً غير الزكاة ، فقال عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ... ﴾ <sup>(٢)</sup> فالحقّ المعلوم من غير الزكاة ، وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه في ماله ، يجب عليه أن يفرضه على قدر طاقته وسعة ماله ، فيؤدّي الذي فرض على نفسه إن شاء في كلّ يوم ، وإن شاء في كلّ جمعة ، وإن شاء في كلّ شهر » <sup>(٣)</sup> .

والمتمتع لآيات القرآن يجد أنهما تمجد بكل من يدفع الصدقة سواء أكان رجلاً أو امرأة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُسْدِقِينَ وَالْمُسَدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ <sup>(٤)</sup> .

والملاحظ أنّ الصدقة تسير في خطّ متوازٍ مع الزكاة لكفالة المحتاجين ، وإذا كانت الزكاة حقاً واجباً ، فهي — أي الصدقة — شيء مستحب يقدم عليه المسلم بطيبة قلب ، طلباً للثواب ، ومواساة لإخوانه المحتاجين .

وقد جعلت الشريعة للمتصدّق ثواباً عظيماً صرّح به الرسول المصطفى صلّى الله عليه وآله بقوله : « من تصدّق بصدقة على رجل مسكين كان له مثل أجره ، ولو تداولها أربعون ألف إنسان ثم وصلت إلى المسكين كان لهم

(١) سور التوبة : ٩ / ٦٠ .

(٢) المعارج : ٧٠ / ٢٤ .

(٣) الكافي ٣ : ٤٩٨ / ٨ .

(٤) سورة الحديد : ٥٧ / ١٨ .



أجراً كاملاً»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ : « من مشى بصدقة إلى محتاج كان له كأجر صاحبها ، من غير أن ينقص من أجره شيء »<sup>(٢)</sup>.

وهناك أحاديث عن أهل بيت العصمة : مفادها أن الله تعالى يبارك كثيراً في الصدقة ولو كانت قليلة ، فليست العبرة في القلة والكثرة ، وإنما في تحسس المسلم حاجات إخوانه وتكافله معهم ، قال الإمام الصادق عليه السلام : « قال الله عزّ وجلّ : إنّ من عبادي من يتصدّق بشقّ تمرّة ، فأرْبِهَا لَهُ كَمَا يَرْبِي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ حَتَّى أَجْعَلَهَا لَهُ مِثْلَ أَحَدٍ »<sup>(٣)</sup>.

ويفضّل أن تُعطى الصدقة للأرحام ، وهم في الدائرة الأقرب من القرابة ، روى الراوندي أن عليّاً عليه السلام قال : « أفضل الصدقة أختك وابنتك ، مردودة عليك ليس لهما كاسب غيرك »<sup>(٤)</sup>.

ولا شك أنّ التكافل مع القريب بمثابة السور الوقائي الذي يحمي العائلة من أخطار الفقر ويسهم في تقوية درجة الانسجام والتآلف بين أفرادها ، لذلك يُضاعف ثواب التصدق على القريب ، فقد سئل رسول الله ﷺ : أيّ الصدقة أفضل ؟ فقال ﷺ : « على ذي الرحم الكاشح »<sup>(٥)</sup>.

(١) ثواب الأعمال : ٢٨٩.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٤ : ١٧.

(٣) الأمالي / الشيخ المفيد : ٣٥٤ ، المجلس الحادي والأربعون.

(٤) النوادر / الراوندي : ٨٣ دار الحديث ط ١ ، ١٤٠٧ هـ.

(٥) ثواب الأعمال : ١٧٣ / ١٨ ، منشورات الشريف الرضي.

فهذا التوجه ينسجم مع اهتمام الإسلام بالأرحام ، ودعوته لتمتين عوامل  
اللحمة معهم ، وخطب ودهم. قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لا صدقة وذو رحم  
محتاج »<sup>(١)</sup>.

والإمام الصادق عليه السلام بدوره عمق هذا الاتجاه الذي يُفضّل القريب  
بالتكافل ، فقد سُئل عليه السلام عن الصدقة على من يسأل على الأبواب ، أو يمسك  
ذلك عنهم ويعطيه ذوي قرابته ؟ فقال : « لا ، بل يبعث بها إلى من بينه وبينه  
قرابة ، فهو أعظم للأجر »<sup>(٢)</sup>.

وانطلاقاً من حرص الإسلام على كرامة الإنسان ، وحرصه على أن لا  
يكون عالة على غيره ، بل يكون إنساناً عاملاً يعيش من عرق جبينه ، وكذا  
يحميه ، فقد حرم أخذ الصدقة على المسلم ، وأباح له ذلك عند الضرورة. وبذلك  
سد الأبواب على بعض الأفراد الذين يعيشون على هامش الحياة ، ويلقون  
عبء معاشهم على غارب الصدقة.

والضابط في ذلك أنّ من يمكنه الاستغناء عنها لا تحل له ، سواء كان بمال  
أو صناعة أو حرفة بشرط أن يكون التكسب لائقاً بحاله ومروءته<sup>(٣)</sup>.

وهناك جملة شروط ومعايير وضعها الإسلام لتمييز مستحقي الزكاة عن  
غيرهم ، فعن عبدالرحمن العزمي ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « جاء رجل إلى  
الحسن والحسين عليهما السلام وهما جالسان على الصفا فسألهما فقالا : إن

(١) من لا يحضره الفقيه ٢ : ٦٨ / ١٧٤٠.

(٢) ثواب الأعمال : ١٤٢.

(٣) المهذب البارع / ابن فهد الحلبي ١ : ٥٣٠ ، جماعة المدرسين ، قم ١٤٠٧ هـ.

الصدقة لا تحلّ إلاّ في دين موجع ، أو غرم مفضع ، أو فقر مدقع ، ففريك شيء من هذا ، قال : نعم ، فأعطياه »<sup>(١)</sup>.

وينبغي أن تكون الأولوية في العطاء للأفراد الذين يكونون عرضة للجزع والهلع والتحسس أكثر من غيرهم ، كل ذلك من أجل القضاء على روح الاستياء عند العطاء ، عن عنبسة بن مصعب ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : سمعته يقول : « أتى النبي ﷺ بشيء فقسّمه فلم يسع أهل الصّفة جميعاً ، فخص به أناساً منهم ، فخاف رسول الله ﷺ أن يكون قد دخل قلوب الآخرين شيء ، فخرج إليهم فقال : معذرة إلى الله عزّ وجلّ وإليكم يا أهل الصّفة ، إنا أوتينا بشيء فأردنا أن نقسّمه بينكم فلم يسعكم ، فخصصت به أناساً منكم خشينا جزعهم وهلعهم »<sup>(٢)</sup>.

من جهة أخرى لم ينقطع أهل البيت : عن التذكير بالمعطيات الإيجابية لإعطاء الصدقة سواء أكانت صدقة السّر أو العلانية ، ومنها : تكفير الخطيئة ، ودفع ميتة السوء ، ودفع البلاء ، وحصول الشفاء ، وزيادة الرزق وغيرها.

قال رسول الله ﷺ : « أكثروا من الصدقة تُرزقوا »<sup>(٣)</sup>. وقال ﷺ موصياً : « داووا مرضاكم بالصدقة... »<sup>(٤)</sup>. وجاء في وصية الرسول ﷺ

(١) الكافي ٤ : ٤٧ / ٧ باب النوادر من كتاب الزكاة.

(٢) الكافي ٣ : ٥٥٠ / ٥ باب تفضيل أهل الزكاة بعضهم على بعض من كتاب الزكاة.

(٣) بحار الأنوار ٧٤ : ١٧٦.

(٤) الخصال / الصدوق : ٦٢٠.

لعلي عليه السلام : « يا علي ، الصدقة تردّ القضاء الذي أبرم إراماً ، يا علي صلة الرحم تزيد في العمر... » <sup>(١)</sup>.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « ... وصدقة السرّ فإنها تُكفّرُ الخطيئة ، وصدقة العلانية فإنها تدفع مائة السوء » <sup>(٢)</sup>. وعنه عليه السلام : « استترّوا الرزق بالصدقة » <sup>(٣)</sup>.

وقال الإمام الصادق عليه السلام لابنه محمد : « يا بنيّ كم فضل من تلك النفقة ؟ فقال : أربعون ديناراً ، قال : أخرج فتصدّق بها ، قال : إنّه لم يبق معي غيرها ، قال : تصدّق بها ، فإنّ الله عزّ وجلّ يخلفها... قال : ففعلت ، فما لبث أبو عبدالله عليه السلام إلاّ عشرة أيام حتّى جاءه من موضع أربعة آلاف دينار » <sup>(٤)</sup>.

ومما ورد من آثار الصدقة الأخرى أنّها تذهب بنحو الأيام ، فعن الإمام الصادق عليه السلام : « من تصدّق بصدقة حين يصبح أذهب الله عنه نحوس ذلك اليوم » <sup>(٥)</sup>.

ومن هنا فإنّ للصدقة دوراً في تطمين الخواطر وتبديد المخاوف عند السفر ، عن عبدالرحمن بن الحجاج ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : « تصدّق

(١) تحف العقول : ٧.

(٢) تصنيف نهج البلاغة / لبيب بيضون : ٢٩٦.

(٣) نهج البلاغة / الحكمة ١٣٧.

(٤) الكافي ٤ : ٩ / ٣ باب في أنّ الصدقة تزيد في المال ، من كتاب الزكاة.

(٥) الكافي ٤ : ٦ / ٧ باب أنّ الصدقة تدفع البلاء من كتاب الزكاة.

واخرج أيّ يوم شئت» <sup>(١)</sup>.

ويبدو من أحاديث النبي ﷺ أنه وسّع من دائرة الصدقة ، لتشمل الغني فضلاً عن الفقير ، ولكن ليس بمعناها المادي بالضرورة ، فهو يعتبر كل معروف صدقة ، فيكون المعروف كالواحة الوارفة الظلال لمبدأ التكافل ، وفي هذا الجانب يقول : « كل معروف صدقة إلى غنيّ أو فقير ، فتصدّقوا ولو بشقّ تمر » <sup>(٢)</sup>.

والصدقة قد تكون معنوية ، ككف الأذى عن الغير ، بدليل قول الرسول ﷺ لأبي ذرّ الغفاري رضي الله عنه : « تكفّ أذاك عن الناس ، فإنه صدقة تصدّق بها عن نفسك » <sup>(٣)</sup>.

وعمّقت الشريعة مسألة الصدقة بربطها مع الإنسان منذ ولادته ، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه لما حلّق شَعْرَ رِيحَانْتَيْهِ الحَسَنَ والحُسَيْنَ عليهما السلام بعد ولادتهما ، تصدق بزنة أشعارهما فضة <sup>(٤)</sup>.

هذا ، ومن الآيات المشيدة بصدقة ولي الله الأعظم وخليفة الرسول الأكرم ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ <sup>(٥)</sup>.

(١) الكافي ٤ : ٢٨٣ / ٤ باب القول عند الخروج من بيته وفضل الصدقة ، من كتاب الزكاة.

(٢) الأمالي / الشيخ الطوسي : ٤٥٨ / ١٠٢٣ المجلس السادس عشر.

(٣) النوادر / الرواندي : ٨٧.

(٤) مناقب أمير المؤمنين عليه السلام / الكوفي ٢ : ٢٧٢.

(٥) سورة المائدة : ٥ / ٥٥.

فقد أجمعت الأمة على أن هذه الآية نزلت في حق أمير المؤمنين علي عليه السلام ، لما تصدق بخاتمه في المسجد على أعرايي وهو راکع <sup>(١)</sup> ، في حين تصدق غيره من الصحابة بأربعين خاتماً طمعاً بأن يتزل فيه وحي ، ولكن لم يتزل شيء بحقه البتة.

وعن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ <sup>(٢)</sup> في حق علي بن أبي طالب عليه السلام قال : أمروا أن لا يناحي النبي صلى الله عليه وآله أحد حتى يتصدق بصدقة ، فأمسك القوم ، وذلك قبل أن تنزل الزكاة ، وتصدق علي عليه السلام بدينار ثم نجاه عشر مرات ، فكان علي عليه السلام يقول : « والله لمن أحب إلي من حمر النعم بصابتهن » <sup>(٣)</sup>.

وعن مجاهد ، قال علي عليه السلام : « آية في كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي ، ولا يعمل بها أحد بعدي : آية النجوى ، كان لي دينار فصرفته بعشرة دراهم ، وكنت كلما أناجي النبي صلى الله عليه وآله تصدقت بدرهم ، ونسخت الآية ولم يعمل بها أحد قبلي ، ولا يعمل بها أحد بعدي » <sup>(٤)</sup>.

كان عليه السلام يجسد في صدقته التربية النبوية الأصيلة ، ويقتفي أثر مربيه

(١) مناقب آل أبي طالب / ابن شهر آشوب ٢ : ٢٠٨ ، المطبعة الحيدرية في النجف — ١٣٧٦ هـ.

(٢) سورة المجادلة : ٥٨ / ١٢.

(٣) مناقب أمير المؤمنين / محمد بن سليمان الكوفي ١ : ١٨٧ ، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية ، ط ١ — ١٤١٢ هـ.

(٤) مناقب أمير المؤمنين / محمد بن سليمان الكوفي ١ : ١٨٨.

النبي ﷺ في كثرة الإنفاق حتى أن بعض أصحابه قال له : « كم تصدق؟! ألا تُمسك؟! »<sup>(١)</sup>.

وكان ﷺ في طليعة العباد الذين يذكرون الله من خلال الإحسان إلى عباده ، فتزلت في حقه هذه الآية : ﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ... ﴾<sup>(٢)</sup> بشهادة ابن عباس الذي قال : هو والله أمير المؤمنين.. وذكر سبب النزول<sup>(٣)</sup>.

واستغل أهل البيت : الشعائر والشهور المقدسة كرمضان وشعبان لتأجيج العواطف والمشاعر الدينية طلباً للثواب ؛ فيوظفون هذا الظرف لحث الناس على التصدق ، كاشفين لهم أبعادها العبادية وثمارها الأخروية ، فعلى سبيل الاستشهاد لا الحصر : كان الإمام السجاد ﷺ إذا دخل شهر رمضان تصدق في كل يوم بدرهم...<sup>(٤)</sup>.

وعن الإمام الصادق ﷺ : « من تصدق في رمضان صرف ( الله ) عنه سبعين نوعاً من البلاء »<sup>(٥)</sup>.

وهناك أوقات يستلزم التصدق فيها الثواب الكثير كوقت الليل ، ويبدو

(١) الغارات / إبراهيم بن محمد الثقفي ١ : ٩٠ ، تحقيق : السيد جلال الدين الحداث ، مطبعة بهمنا ، إيران.

(٢) سورة النور : ٢٤ / ٣٧.

(٣) راجع : مناقب آل أبي طالب ١ : ٣٤٩.

(٤) إقبال الأعمال / ابن طاووس ٣ : ١٥٠ ، مكتب الاعلام الإسلامي ، ط ١ / ١٤١٤ هـ.

(٥) عدة الداعي / ابن فهد الحلبي : ٩٢ ، مكتبة الوجداني — قم ، تحقيق : أحمد الموحدي القمي.

أن لذلك علة عميقة ، وهي حرص الإسلام على صون كرامة المحتاجين ، فتحت جناح الظلام يستطيع المحتاج أن يحصل على بغيته دون أن يكشف عن هويته ، ولا أن يريق ماء وجهه ، والمعطي بدوره يحصل على الثواب ويرضى ربه ، قال الإمام الصادق عليه السلام : « صدقة الليل تطفي غضب الرب ، وتمحو الذنب العظيم ، وتمون الحساب .. »<sup>(١)</sup>.

وكان أهل البيت : يسلكون هذا السبيل فيفضلون صدقة الليل ، عن هشام بن سالم ، قال : كان أبو عبدالله عليه السلام إذا اعتم وذهب من الليل شطره أخذ جراباً ثم ذهب به إلى أهل الحاجة من أهل المدينة ، فقسّمه فيهم ولا يعرفونه ، فلما مضى أبو عبدالله عليه السلام فقدوا ذلك ، فعلموا أنه كان أبا عبدالله عليه السلام<sup>(٢)</sup>.

وتستحبّ الصدقة أيضاً عند حلول شهر شعبان ، فقد سئل الإمام الصادق عليه السلام : « يابن رسول الله ، ما أفضل ما يفعل فيه ؟ — أي في شهر شعبان — قال : الصدقة والاستغفار ، ومن تصدق بصدقة في شعبان رباها الله تعالى كما يربي أحدكم فصيله حتى يوافي يوم القيامة وقد صار مثل أحد »<sup>(٣)</sup>.

وصفوة القول إنّ أئمة أهل البيت : كانت لهم اليد الطولى في نشر ثقافة الصدقة على نطاق واسع بين الناس وتربية صغار السنّ عليها ، لتكون لهم خلقاً في المستقبل وعادة حسنة ، عن محمد بن عمر بن يزيد ، قال ، قال

(١) الكافي ٤ : ٩ / ٣ ، باب صدقة الليل من كتاب الزكاة.

(٢) الكافي ٤ : ٨ / ١ ، باب صدقة الليل من كتاب الزكاة.

(٣) إقبال الأعمال ٣ : ٣٩٤ .



الإمام الرضا عليه السلام : « مُر الصَّيِّ فليتصدَّق بيده بالكسرة والقبضة والشَّيء وإن قلَّ ، فإن كلَّ شيء يراد به الله وإن قلَّ بعد أن تصدق النيَّة فيه عظيم » <sup>(١)</sup>.

### ثالثاً - القرض والدين :

القرض : عقد يتضمَّن تملك المال للغير مضموناً عليه ، والدين : كلُّ ما انشغلت به الذمَّة سواء كان بعقد أم بدونه ، والقرض يسهم في وضع لبنة جديدة في صرح البناء التكافلي الإسلامي ، ويوفر للأفراد الذين يمرون بضائقة مالية ما يسعفهم من مال لتسيير شؤونهم وكسر حلقة الضيق التي تحاصرهم وتضيِّق الخناق عليهم.

وهناك آيات تحثُّ على الإقراض وتناشد المؤمن بصيغة الاستفهام لتحرك أريجته وتملأ قلبه بالعطف على المعوزين ابتغاءً لمرضاة الله ، كما في قوله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً... ﴾ <sup>(٢)</sup> ، وقوله عزَّ من قائل : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ <sup>(٣)</sup>.

ولا يخفى أنَّ نسبة الشيء إلى الله تعالى دليل على تعظيمه ، فلا ينسب شيء إليه عزَّ وجلَّ إلاَّ للتعظيم ، كما يقال : رسول الله صلى الله عليه وآله ، وولي الله عليه السلام ، وبيت

(١) الكافي ٤ : ٤ / ١٠ ، باب فضل الصدقة من كتاب الزكاة.

(٢) سورة البقرة : ٢ / ٢٤٥.

(٣) سورة الحديد : ١١ / ٥٧.

الله ، ونحوها.

ويظهر من النصوص الدينية أن القرض أكثر ثواباً من الصدقة.

قال الإمام الصادق عليه السلام : « لأن أقرض قرضاً أحبّ إليّ من أن أصدّق

بمثله » <sup>(١)</sup>. ومردّد ذلك للثواب الكبير الذي يحصل عليه المقرض.

فالقرض هو النافذة المفتوحة أمام من ضاقت به السُّبل ، وهو الفضاء

المتسع لمن أراد الثواب ، عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله : « من أقرض ملهوفاً فأحسن

طلبته ، استأنف العمل ، وأعطاه الله بكلّ درهم ألف قنطار من

الجنة » <sup>(٢)</sup>.

وعن جابر ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : « من أقرض رجلاً قرضاً إلى

ميسرة ، كان ماله في زكاة ، وكان هو في الصّلاة مع الملائكة حتّى

يقضيه » <sup>(٣)</sup>.

ولعظمة ثواب القرض ، فقد وصف في بعض الأحاديث الشريفة بأنّه

غنيمة ، قال الإمام الصادق عليه السلام : « قرض المؤمن غنيمة وتعجيل أجر ، إن

أيسر قضاءك ، وإن مات قبل ذلك احتسبت به من الزكاة » <sup>(٤)</sup>.

وقد قام أئمة أهل البيت : بوظيفتهم التكافلية خير قيام على الرغم

من ترّبص السلطات الحاكمة بهم ، وسعيها للحيلولة دون إيصال الحقوق

(١) ثواب الأعمال : ١٦٧ / ٤ .

(٢) ثواب الأعمال : ٣٤١ / ١ .

(٣) الكافي ٣ : ٥٥٨ / ٣ ، باب القرض أنه جمى الزكاة من كتاب الزكاة .

(٤) الكافي ٣ : ٥٥٨ / ١ ، باب القرض أنه جمى الزكاة من كتاب الزكاة .

الشرعية إليهم بشقئ السُّبل والوسائل. ومع كل ذلك فقد رقدوا المحتاجين والمعسرين بما يحتاجون إليه ، واضطلعوا بوظيفة التكافل في أكثر من اتجاه وعلى أكثر من صعيد.

روي آته : « جاء رجل إلى أبي عبدالله عليه السلام فقال له : يا أبا عبدالله ، قرض إلى ميسرة ، فقال له أبو عبدالله عليه السلام : إلى غلة تدرك ؟ فقال الرجل : لا والله ، قال : فإلى تجارة توبُّ ؟ قال : لا والله ، قال : فإلى عقدة تباع ؟ فقال : لا والله . فقال أبو عبدالله عليه السلام : فأنت تمن جعل الله له في أموالنا حقاً ثم دعا بكيس فيه دراهم فأدخل يده فيه ، فنأله منه قبضه ، ثم قال له : أتق الله ولا تسرف ولا تقتتر ، ولكن بين ذلك قواماً... » <sup>(١)</sup>.

وقد ورد في الشريعة التأكيد على جزيل الثواب لمن يقرض المعسر من جانب ، ومن جانب آخر نجد حثاً على إنظار المعسر بعد إقراضهم ، فهنا ترغيب آخر للمقرض بأن عليه أن يُنظر المعسر الذي أقرضه ، وأن يمهلته حتى تمكنه الظروف من تسديد دينه ، وفي هذا الإمهال — أيضاً — ثوابٌ جزيل.

عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « من أنظر معسراً كان له على الله عزّ وجلّ في كلِّ يوم صدقة ، بمثل ماله حتى يستوفيه » <sup>(٢)</sup>.

ومن جهة التحذير أو الإنذار الذي يسير في خطٍّ متوازٍ مع الترغيب ، حدّرت الشريعة من نذر الشؤم لكل من يحجم عن إسعاف إخوانه مع قدرته

(١) الكافي ٣ : ٥٠١ / ١٤ باب قرض الزكاة وما يجب في المال من الحقوق ، من كتاب الزكاة.

(٢) الكافي ٤ : ٣٥ / ٤ ، باب إنظار المعسر ، من أبواب الزكاة.

على ذلك ، قال الرسول صلى الله عليه وآله في معرض التحذير : « من احتاج إليه أخوه المسلم في قرض وهو يقدر عليه فلم يفعل ، حرم الله عليه ربح الجنة » <sup>(١)</sup>.

#### رابعاً — الكفارات :

ولها أثر بالغ في رفق مسيرة التكافل في الإسلام ، فمن المعلوم أن الإسلام لم يغلّق باب التوبة أمام المذنب ، لأنه يعلم أن الإنسان ضعيف ، ومعرض للوقوع في براثن الفتن والمغريات ، وعليه فحين يسقط الإنسان في مهاوي الخطيئة يفتح له الإسلام باب التوبة والتكفير عن الذنب ، لكي ينهض من كبوته. فهو يسعى إلى انتشال الإنسان من وحل الخطيئة ، ويشعره بقدرته على الارتقاء ، وبدلاً من أن يصدر له قرارات الحرمان ، أو يبيع له صكوك الغفران كما فعلته التصرانية ، يفتح له باب الكفارة ، وهو أسلوب شرعه الرب رحمةً بعباده ، وتطميناً لقلوبهم ، وتطهيراً لأنفسهم. ولبعض هذه الكفارات غايات تكافلية مع الفقراء والمساكين ، فعن علي بن أبي حمزة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « سألته عن كفارة اليمين ، فقال : عتق رقبة أو كسوة ، والكسوة ثوبان ، أو إطعام عشرة مساكين ، أي ذلك فعل أجزاء عنه ، فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام متواليات ، وإطعام عشرة مساكين مداً مداً » <sup>(٢)</sup>.

وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال : « في كفارة اليمين عتق رقبة ، أو

(١) من لا يحضره الفقيه ٤ : ١٥ .

(٢) الكافي ٧ : ٤٥٢ / ٣ باب كفارة اليمين ، من كتاب الإيمان والنذور والكفارات.

إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم ، أو كسوتهم .  
والوسط الخل والزيت ، وأرفعه الخبز واللحم ، والصدقة مدّ مدّ من  
حنطة لكل مسكين ، والكسوة ثوبان... » <sup>(١)</sup>.

وعن معمر بن عمر قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن وجبت عليه الكسوة  
في كفارة اليمين ، قال : « ثوب يوارى به عورته » <sup>(٢)</sup>.

وكفارة النذر ككفارة اليمين ، عن حفص بن غياث ، عن أبي عبد الله عليه السلام  
قال : سألته عن كفارة النذر ، فقال : « كفارة النذر كفارة اليمين » <sup>(٣)</sup>.

أما في كفارة الظهار فيتعيّن على المسلم أن يطعم ستين مسكيناً في حال  
عجزه عن عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين ، عن صفوان قال : سأل  
الحسين بن مهران أبا الحسن الرضا عليه السلام عن رجل ظاهر عن امرأته وجاريته  
ما عليه ؟ قال : « عليه لكل واحدة منهما كفارة عتق رقبة ، أو صيام  
شهرين متتابعين ، أو إطعام ستين مسكيناً » <sup>(٤)</sup>.

وهناك كفارات أخرى تستلزم الإطعام تطلب في مظانها من كتب الفقه.

وهكذا نجد أن الكفارة تقوم بدور التطهير الروحي للمذنب ، وتساهم في  
دعم مبدأ التكافل سواءً بإطعام الفقراء والمساكين أو كسوتهم.

(١) الكافي ٧ : ٤٥٢ / ٥ من نفس الباب المتقدّم.

(٢) الكافي ٧ : ٤٥٣ / ٦ من نفس الباب المتقدّم.

(٣) الكافي ٧ : ٤٥٧ / ١٣ باب النذور من الكتاب المتقدّم.

(٤) الكافي ٦ : ١٥٨ / ٢٠ باب الظهار من كتاب الطلاق.

### خامساً — الأوقاف :

والوقف — كما عرفوه — تحبب العين وتسهيل المنفعة ، فيمكن المسلم أن يوقف أمواله على الفقراء والخيرات ، أو يوقف داره على المحتاجين للسكن ، وحينئذ تخرج هذه الأمور عن ملكيته. كما بإمكانه أن يوقف على أولاده وذريته ، وكل من هذه الموارد يحقق غاية تكافلية تعود بالنفع والفائدة على الفقراء والمحتاجين أو القاصرين.

عن أحمد بن محمد ، عن أبي الحسن الثاني عليه السلام قال : سألته عن الحيطان السبعة التي كانت ميراث رسول الله صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام فقال : « لا إنما كانت وقفاً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يأخذ إليه منها ما ينفق على أضيافه والتابعة يلزمه فيها ، فلما قبض جاء العباس يخاصم عليها عليها السلام فيها ، فشهد علي عليه السلام وغيره أنها وقف على فاطمة » <sup>(١)</sup>. وعليه فيمكن الأب أن يوقف على أبنائه وذريته ، حرصاً على تأمين سبل العيش الكريم لهم.

### سادساً — الهبات :

والهبة — حسب التعريف الفقهي : « هي تملك عين من دون عوض عنها » <sup>(٢)</sup>. وتصح الهبة من المريض في مرض الموت. وليس للواهب الرجوع بعد الإقباض إذا كانت لذي رحم <sup>(٣)</sup>. وتأسياً على ذلك تسهم الهبات إسهاماً

(١) الكافي ٧ : ٤٧ / ١ باب صدقات النبي صلى الله عليه وآله وفاطمة والأئمة : ووصاياهم ، من كتاب الوصايا.

(٢) المسائل المنتخبة / السيد السيستاني : ٣٧٥.

(٣) المصدر السابق ، المسألة (٩٣٣) و (٩٣٨).

فاعلاً في تفعيل مبدأ التكافل والتواصل ، إذ بإمكان أي إنسان أن يهب ما يشاء من أموال أو أعيان خاصة للفقراء والمحتاجين ، ويظهر من الرواية التالية أن الهبة هي أقدم في الإسلام من الصدقة.

عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال : « إنما الصدقة محدثة ، إنما كان الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينحلون ويهبون ، ولا ينبغي لمن أعطى الله شيئاً أن يرجع فيه » <sup>(١)</sup>.

وصفوة القول إن سُبل التكافل هي فروع من نظام التكافل الاجتماعي في الإسلام ، وهذا النظام أشمل وأوسع كثيراً من الزكاة والصدقات لأنه يتمثل في خطوط تشمل نواحي الحياة كلها ، ونواحي الارتباطات البشرية بأكملها. فالتكافل ضرورة لقيام الجماعة المسلمة في وجه الصعاب والمشاق التي تواجهها وتكتنفها ، ثم هو ضرورة من ناحية أخرى : من ناحية التضامن بين أفراد الجماعة ، وإزالة الفوارق الشعورية بحيث لا يحس أحد إلا أنه عضو في ذلك الجسد.

يقول الإمام الصادق عليه السلام : « المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد ، إن اشتكى منه وجد ألم ذلك في سائر جسده ، وأرواحهما من روح واحدة » <sup>(٢)</sup>.

(١) الكافي ٧ : ٣٠ / ٣ باب ما يجوز من الوقف والصدقة والنحل والهبة والسكنى والعمرى والرقي وما لا يجوز من ذلك على الولد وغيره من كتاب الوصايا.

(٢) الكافي ٢ : ١٦٦ / ٤ ، باب أحوة المؤمنين بعضهم لبعض ، من كتاب الإيمان والكفر.

وعنه عليه السلام : « لا والله ، لا يكون المؤمن مؤمناً أبداً حتى يكون لأخيه مثل الجسد ، إذا ضرب عليه عرق واحد تداعت له سائر عروقه » <sup>(٣)</sup>.

وهذا الشعور بالوحدة الإيمانية له قيمته الكبرى في قيام الجماعة شعورياً ، إذا كان سدّ الحاجة له قيمته في قيامها عملياً ، وما أراد الإسلام بالتكافل مجرد سدّ الخلة ، ومسك البطن ، وتلافي الحاجة وحسب ، بل أرادته تهدياً وتزكية وتطهيراً لنفس المعطي ، وتأجيح مشاعره الإنسانية تجاه أخوته المعوزين والفقراء ، وتذكيره بنعمة الله عليه ، فإذا أعطى المحسن من ماله شيئاً فإنما من مال الله أعطى ، وإذا أسلف حسنة فإنما هي قرض لله يضاعفه له أضعافاً كثيرة. وليس المحروم الآخذ إلا أداة وسبباً لينال المعطي الوهاب أضعاف ما أعطى من مال الله.

إن إشاعة هذه الآداب ، كان من الضرورة بمكان حتى لا يستعلي معط ولا يتخاذل آخذ ، فكلاهما آكل من رزق الله.

ومما لا يدانيه شك أن قوام الحياة في النظام الإسلامي هو العمل بكل صنوفه وألوانه ، وعلى الدولة المسلمة أن توفر العمل لكل قادر عليه حتى لا يتكل المسلم على نظام التكافل ويقف مكتوف اليدين يستعطي المحسنين.

(٣) كتاب المؤمن / الحسين بن سعيد : ٣٩ ، مدرسة الإمام المهدي — قم ، ط ١ /



## فهرس المحتويات

٥	مقدمة المركز .....
٧	المقدمة .....
٩	الفصل الأول : أسس التكافل الاجتماعي في مدرسة أهل البيت <small>عليه السلام</small> ...
٩	أولاً : مبدأ الأخوة الإيمانية .....
١٣	ترغيب وترهيب .....
١٧	مثالية عالية .....
٢٠	ثانياً : قيم التراحم .....
٢١	ثالثاً : التعاون والإحسان .....
٢٤	رابعاً : مبدأ المسؤولية العامة .....
٢٦	خامساً : الإيتار .....
٢٨	سادساً : الخدمة المتبادلة .....
٢٩	سابعاً : السيادة والسماحة .....
٣٠	ثامناً : الجود والإنفاق .....
٣٧	الفصل الثاني : من يحتاج إلى التكافل ؟ .....
٣٧	أولاً — الأقربون بالنسب أو الجوار .....
٣٧	١ — الأهل والعيال .....
٤٠	٢ — الأرحام .....
٤٦	٣ — الجار .....

٤٩	..... العشرة	٤
٥١	..... ثانياً : الفئات المحرومة	
٥١	..... الأيتام	١
٥٥	..... الفقراء والمساكين	٢
٥٩	..... السائلون والمحرومون	٣
٦٣	..... الأسرى والمكروبون	٤
٦٥	..... الفصل الثالث : متطلّبات التكافل وسبل تأمينها	
٦٥	..... المبحث الأوّل : متطلّبات التكافل	
٦٥	..... أولاً : الماء	
٦٩	..... ثانياً : الطعام	
٧٦	..... ثالثاً : الكساء	
٧٩	..... رابعاً : السكن	
٨٠	..... خامساً : المال	
٨٧	..... المبحث الثاني : سبل تأمين متطلّبات التكافل	
٨٧	..... أولاً : الزكاة	
٩٥	..... ثانياً : الصدقة	
١٠٥	..... ثالثاً : القرض والدين	
١٠٨	..... رابعاً : الكفارات	
١١٠	..... خامساً : الأوقاف	
١١٠	..... سادساً : الهبات	
١١٣	..... فهرس المحتويات	